

أسنى المتاجر

فى بيان احكام من جلب على وطنه النصارى ولم يهاجر
وما يترتب عليه من العقوبات والزواج

لابى العباس احمد بن يحيى بن محمد التلمسانى الونشريشى

١٥٠٨ - ١٤٣٠ / ٩١٤ - ٨٣٤

تحقيق

دكتور حسين مؤنس

مكتبة الثقافة الدينية

المركز الرئيسى : ٥٢٦ شارع بور سعيد . الظاهر

تليفون : ٩٣٦٢٧٧ / ٩٢٢٦٢٠

حقوق الطبع محفوظة للناس

١٩٩٦ - ١٤١٦ هـ

أَسْبَنِي الْمَتَاجِرِ فِي بَيَانِ أَحْكَامِ مَنْ غَلَبَ عَلَى وَطَنِهِ النَّصْرِيُّ وَلَمْ يَهَاجِرْ

وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر

لأبي العباس أحمد بن يحيى بن محمد التلمساني الوشريشي

٨٣٤ - ٩١٤ / ١٤٣٠ - ١٥٠٨

تمهيد

١ - المخطوط

في عام ١٨٦٦ حاول المستشرق ماركوس جوزيف مولر Marcus Joseph Müller في فصل من كتابه المسمى :

Beiträge zur Geschichte der westlichen Araber (2 Hefte, München, 1866).

أن ينشر ذلك النص ، فلم ينشر من المخطوط إلا صفحة واحدة تحت عنوان :
« أحوال المهاجرين الغرناطيين في افريقيه »^(١) :

Zustände der Ausgewanderten Granadiner in Africa.

وهذه الصفحة تضم السؤال فقط ، أما الفتوى - وهي الأهم - فقد ضرب عنها صفحاً وقال : « إن نشر الفتوى الدينية يبدو زيادة لا لزوم لها »^(٢) ، وحسب الكثيرون أن هذا النص قد نشر ، أو نشر جزئياً كما قال بروكلمان ،

(١) الصكراس الأول س ٤٢ - ٤٤

(٢) Das theologische Fetwa scheint überflüssig (٢)

وانصرفوا عنه رغم أهميته كوثيقة تاريخية لها قيمتها . ولهذا لم يحاول أحد نشره ، واكتفى الكثيرون بالإشارة إليه أو الانتفاع بفقرات منه ، دون العناية بنشره^(١) ، بل أهمل بعضهم أمره تماماً ، كما حدث عند ما نشر اميل امار فقرات من « المعيار » للونشريسي في مجلد ضخيم ، أورد في مقدمته قائمة بمؤلفاته لا نجد بينها إشارة إلى هذا الكتيب الهام^(٢) .

وهذا النص صغير الحجم ، يقع في ثلاث عشرة ورقة ضمن المخطوط رقم ١٧٥٨ بمكتبة الاسكوريال (من ورقة ٨٣ إلى ٩٥) وصفحاته صغيرة (حجم الصفحة ٢٨×٢٠ سنتيمتراً في كل صفحة ٢١ سطراً) وورقه من البارشمان الصقيل ، وهو مكتوب بخط نسخ مغربي واضح وبمض أوائل السطور وحروف المطف بالمداد الأحمر^(٣) . وهو من تأليف الفقيه المغربي أحمد بن يحيى بن محمد ابن علي الونشريسي من قهاء القرن التاسع وأوائل العاشر الهجريين (٨٣٤ - ٩١٤ / ١٤٣٠ - ١٥٠٨) وقد فرغ من كتابته في ١٩ ذى قعدة سنة ٨٩٠ هـ أي وهو في السادسة والخمسين من عمره الطويل .

وقد أورد الونشريسي هذه الفتوى في مجموع الفتاوى الذي صنفه سنة ٩٠١ / ١٤٩٥ المسمى « بالمعيار المغرب والجامع العرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب » ، وهو أضخم جامع لفتاوى أهل الجناح الغربي من عالم الإسلام ، ولم يلق مجموع آخر مماثل من الرواج ما لقي ، فإن نسخه المخطوطة كثيرة وتوجد في كل مكان ، وقد طبع في فاس طبع حجر في اثني عشر مجلداً ، صدرت

(١) انظر : بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ج ٢ ص ٢٤٨ و ٣٥٦ ولحقق ٣٤٨/٢

Isidro de las Cagigas, *Los Mudéjares I*, Madrid 1848 pp. 68-69, 83.

Lévi-Provençal, *Islam d'Occident*, (Paris 1948), p. 137-151.

Emile Amar, *La Pierre de Touche des Fétwas de Ahmad al-Wanscharisi. Choix de* (٢)

Consultations Juridiques des Faqihis du Maghreb traduites et analysées. Tome I, dans Archives Marocaines. Volume XII (Paris 1908) pp. VIII-IX.

(٣) أشار إليه الزيزري في فهرس الاسكوريال ج ٢ ص ١٦٩ - ١٧٠ تحت رقم ١٧٥٣

سنتي ١٣١٤ و ١٣١٥ / ١٨٩٦ - ١٨٩٧ وهي طبعة غير محققة ، والكتاب في حاجة إلى طبعة جديدة^(١) .

وتقع صورة الفتوى التي ضمنها النشريشي كتابه « المعيار المغرب » في باب « نوازل الجهاد » في الجزء الثاني من ص ٩٠ إلى ص ١٠٦ ، وقد استعملناها كنسخة ثانية تقابل عليها النسخة المخطوطة ، ورمزنا إليها في التعليقات بحرف م ، في حين أننا رمزنا إلى المخطوطة بكلمة الأصل .

ب - المؤلف

والنشريشي أو الونشريسي منسوب إلى ونشَريش أو ونشريس قرية بناحية بحاية الجزائر بين باجة وقسنطينة، وتكتب كذلك ونسريس وهو أيضاً اسم جبل من سلسلة جبال صغيرة تسمى بني شقران Beni-Chougran^(٢). وإسمه الكامل أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد التلمساني النشريشي وهو من جملة فقهاء المغرب في القرن التاسع الهجري وأوائل العاشر ، وقد ترجم له أحمد بابا التيبكتي في نيل الابتهاج (رقم ٧٤) وابن القاضي في كتابيه جذوة الاقتباس (رقم ٨٠) ودرة الحجال (٤٣ / ١ رقم ١٣٠) وابن سريم في « البستان » (رقم ٥٣ ، وترجمة ف. بروفزالي ٥٧ / ١) وابن عسكر في « دوحة النسرين » (رقم ٣٧) والكتاني في « سلوة الانفاس » (١٥٣ / ٢) وذكره عبد الحى الكتاني في فهرس مخطوطات مكتبة جامع القرويين (٤٣٨ / ٢ - ٤٣٩) أى

(١) راجع : الدكتور محمود على مكي ، كتاب أحكام السوق ليحيى بن عمر الأندلسي ، صحيفة المهدي المصري للدراسات الإسلامية المجلد الرابع ، عدد ١ و ٢ سنة ١٩٥٦ / ١٣٧٥ ، ص ٥٩ - ٦١

(٢) عن مقدمة كتاب اميل امار المثار إليه آفأ ، (ص ٦ من المقدمة) وقد اعتمد هو على : Elisée Reclus, *L'Afrique Septentrionale*. 2^e partie, pp. 313-317.

وقد ذكر أن رينيه باسيه في بحث سنشير إليه يكتب اسم القرية والجبل ونشريس أو ونشريس أو ورنسيس أو ورنسيس . وأضاف أن لامير يقول إن معنى هذا اللفظ البربري : ليس هناك أعلى من ذلك rien de plus haut .

أن المادة عنه متوافرة ، ولكن هذه التراجم كلها متشابهة ولهذا فسنبجزي. منها بما كتبه أحمد بابا التمبكتي في « نيل الابتهاج » ، فهي تعني في التعريف به ، قال : العالم العلامة ، حامل لواء الذهب (المالكي) على رأس المائة التاسعة (كذا) أخذ عن شيوخ بلده تلمسان كالإمام أبي الفضل قاسم العقباني وولده القاضي العالم أبي سالم العقباني وحفيده الإمام العلامة محمد بن أحمد بن قاسم العقباني والإمام محمد بن العباس والعالم أبي عبد الله الجلاب والعالم الخطيب الصالح ابن مرزوق الكفيف والغرابي والمرى وغيرهم ، ثم حصلت له كائنة من جهة السلطان في أول محرم عام أربع وسبعين وثمانمائة ، فانتهت داره ، وفر إلى مدينة فاس ، فاستوطنها . قال أحمد المنجور في فهرسته : وأكب على تدريس المدونة وفرعى (كذا وصحتها فروغ) ابن الحاجب : وكان مشاركاً في فنون العلم ، إلا أنه لما لازم تدريس الفقه يقول من لا يعرفه أنه لا يعرف غيره ، وكان فصيح اللسان والقلم ، حتى كان بعض من يحضره يقول : لو حضر سيبويه لأخذ النحو من فيه ، وتخرج به جماعة من الفقهاء ، كالفقيه أبي عباد ابن مليح اللمطي . قرأ عليه ابن الحاجب والشيخ المنفخ الأستاذ أبي زكريا السوسى والفقيه المحدث محمد بن عبد الجبار الوردغيري والفقيه عبد السميع المصمودى والفقيه العلامة محمد بن الغرديسى التغلبي . وبخزانة هذا الرجل انتفع لاحتوائها على تصانيف الفنون ، وبها استعان في تصنيف كتابه « المعيار » سيما فتاوى فاس والأندلس ، فانما تيسرت له من هذه الخزانة ، وأخذ عنه ولده عبد الواحد أيضاً . قلت : أما فتاوى افريقية وتامسان فاعتمد في ذلك على نوازل البرزلى والمازرى فيما يظهر لمن طالعهما . وله تأليف كثيرة منها « المعيار المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب » في ستة أسفار ، جمع فأوعى ، وحصل فوعى ، وتعليق على ابن الحاجب الفروعى في ثلاثة أسفار ، ووقفت على بعضها ، « وغنّية المعاصر والتالى على وثائق الفشتالى » ، و « كتاب القواعد في الفقه » صغير محرر ، ووثائقه المسماة « الفائق في أحكام الوثائق »

ولم يكمل ، وتأليف له فى الفروق فى مسائل الفقه ، وقفت عليه ، وغيرها ،
توفى عام أربع عشرة وتسعمائة ، وفى هذه السنة استولى الفرنج على مدينة وهران ،
فك الله أسرها ، وعمره نحو ثمانين سنة . أخبرنا بذلك صاحبنا الشيخ المسن
مفتى فاس محمد بن قاسم القصار الفاسى . زادنى بعض أصحابنا أن وفاته يوم
الثلاثاء موفى عشرين من صفر ، وأنجب ولده عبد الواحد وسياًنى فى حرف
العين^(١) .

وإذا نحن تأملنا هذه الترجمة على ضوء نص الفتوى التى نشرها ، أخذنا
صورة عن مستوى العلم ونوعه فى المغرب الأقصى خلال القرن التاسع الهجرى ،
وتبيننا أن العلم وقف إذ ذاك عند مستوى الجمع والحفظ والتكرار ولا زيادة ، كما
كان الحال فى المشرق إذ ذاك ، وقد ذهبت مع أمس الدابر أيام العلماء المجتهدين
المبتكرين ، ولم تعد فى دوائر العلماء هذه الشخصيات الجليلة العاصرة التى جعلت
للفقه فى المغرب والأندلس دولة تضارع دول السلاطين ، ذهبت أيام قفهاء القرون
الأولى وانتهى الابتكار فى التأليف والتفكير عند أبى بكر بن العربى ، ولم يعد
أمامنا إلا فروعيون مقلدون أو مصنفون جماعون يأخذون من هنا ويضعون هنا
ويقسسون نوازل أيامهم على سوابق وقفت فى القرون الأولى ، ويحفظون فى
القياس أو يمتسفون ، ويلقون الأحكام جزافاً دون نظر إلى ظرف طارىء . أو
حال متغيرة ، ويقنعون بأقرب الموارد دون تكلف عناء دراسة الأحوال الراهنة
والتبصر فيما يحيط بهم وما ينبغى له ، أو تنبّه إلى ما يمكن وما لا يمكن ،
وما يصلح وما لا يصلح ، هذا والشريعة بين أيديهم سمحاء وباب الفكر ذو
سعة . فهذا الشيخ الذى تصدى لابتداء رأى فى مصير المسلمين المتخلفين فى
الأندلس لم يكلف نفسه ، عند ما جلس يكتب هذه الفتوى ، عناء البحث

(١) أبو العباس أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت المعروف بابا التنبكى : « نيل الابتهاج
بتطريز الديباج » على هامش الديباج للذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب (القاهرة ١٣٥١)

عن أحوال من يفتى فيهم وتقصى أخبارهم وتعرف الأسباب التي تضطرم إلى البقاء في الأندلس وتحول بينهم وبين الهجرة إلى المغرب ، ولم يذكر أنهم ، أولاً وقبل كل شيء ، بشرٌ ضعفاء ، عسير عليهم مغادرة الأوطان ومعاهد الحياة الطويلة التي تقلب فيها الآباء والأجداد قرونًا متطاولة ، يسيرٌ على نفوسهم الرضى بهمود تعطى لهم ووعود تصدر إليهم من ملوك وأسراء ، على أمل فرج الله الذي لا ينسى عباده . وهو عند ما أراد أن يضرب مثالا لما يمكن أن يصيب المسلم المتخلف في بلاد النصرانية من الأذى في أهله ذهب يلتبس مثالا من القرن الخامس الهجرى ، وهو حادث ككنة المعتمد بن عباد ، بينما منات الحوادث المماثلة تقع أمام عينيه ، فقد كانت كارثة الأندلس على أيامه قد وصلت إلى ذروتها ، وأصبحت وكأنها طوفان مفرق يطنى كل يوم على ناحية ، ويقذف إلى المغرب بحطام الناجين منات وآفاقاً ، وكل منهم يحمل من الأخبار والتفاصيل والبراهين أضعاف ما تحمل قصة زوج ابن المعتمد ، وهى فى ذاتها قصة لا تصلح مثالا ، إذ أنها تتعلق بامرأة ضعيفة الإيمان بطبعها ، قتل المرابطون زوجها ثم استولوا على ديارها ، فملاً قلبها الحقد وارتمت بين أيدي خصوم المرابطين فى السياسة والدين ، وهذا أمر من الممكن حدوثه فى كل حين ، ولكن شيخنا يحفظ ولا ينظر ، ويقسو على إخوان لنا فى الدين وضعفهم صروف الأيام بين حجرى رحى تطحن ولا ترحم .

ثم إنه يقول إن دخول بعض المسلمين تحت حكم البصارى أمر لم يعرفه المسلمون إلا فى القرن الخامس الهجرى بعد استيلاء النورمانيين على صقلية : « ولم تحدث على ما قيل إلا بعد مضى مئتين من السنين وبعد انقراض أئمة الأمصار المجتهدين ، فذلك لا شك لم يتعرض لأحكامها الفقهية أحد منهم » وهذا كلام يدل على علم قليل جداً بتاريخ الإسلام ، وهذا الإهمال للتاريخ لم يقتصر على علماء ذلك العصر فى المغرب بل يشمل علماء المشرق أيضاً ، ففى أوائل

القرن التاسع وفي فاتحة « إمتاع الأسماع » شكّا تقي الدين المقرئ من جهل معاصريه من الفقهاء بالتاريخ عامة وبسيرة نبيهم صلوات الله عليه بصفة خاصة ، ولهذا تكلف كتابة السيرة لهم .

ففي أثناء الصراع الطويل بين الاسلام والنصرانية في المشرق وحوض البحر الأبيض والمغرب لم يخل الأمر بين حين وحين من أن تقع بعض بلاد الاسلام في أيدي غير المسلمين ، ففي أيام المهدي العباسي استولى الروم على « الحديثة » وحكموها أعواماً حتى استردها المسلمون أيام المهدي^(١) وفي سنة ٧٩٩/١٨٣ أنشأ حكم الرشيد غزاة الخزر أرض الاسلام من « باب الأبواب » فأوقعوا بالمسلمين وأهل الذمة وسبوا أكثر من مائة ألف رأس ، وانتهكوا أمراً عظيماً لم يسمع بمثله في الأرض^(٢) « وفي سنة ٩٦٥/٣٤٩ استولى نقفور فوكاس على كريت ، وفي السنة التالية استولى على عين زرب ومرعش ، وفي سنة ٩٦٥/٣٥٣ أخذ « قالي قلا » وجزءاً من صقلية ، وفي سنة ٩٦٩/٣٥٨ قام بحملة مخربة على الشام وأوغل فيها واستولى على شيرز وحماء وحمص واقترب من طرابلس وأحرق جباله واللاذقية ، واستولى قواده في آخر ذلك العام على انطاكية ، وتلا ذلك وقوع حلب في أيديهم ، فأما انطاكية فقد ضمت إلى دولة الروم بمن فيها من المسلمين ، وأما حلب فأصبحت ولاية خاضعة لسلطانهم معاهدة لهم . وفي عام ٩٧٤/٣٦٣ استولى يوحنا الشمشيق Jean Tzimiscès إمبراطور الروم على نصيبين ، وبسط سلطانه على الموصل ، وفي العام التالي استولى على بعلبك وأخذ الجزيرة من دمشق ثم عاث في نواحي الجليل وطبرية والناصره حتى وصل إلى قيصرية على شاطئ البحر^(٣) ، وغير ذلك كثير .

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، طبعة المطبعة النورية بالقاهرة ، ٧٦/٥ - ٧٧

(٢) انظر ابن الأثير ، حوادث سنة ٣٤٨ وما يليها ، ج ٥ ص ٣٥٥ وما يليها و

Schlumberger, *Un Empereur Byzantin, Néophote Phecas*. Chap. VIII et X.

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ١٠٨/٥

فالمسألة إذن قديمة ترجع إلى النصف الثاني من القرن الهجري الثاني ، وهي نتيجة طبيعية لحالة الحرب الدائمة بين الاسلام والنصرانية على طول العصور الوسطى وعرضها ، بل ترجع إلى أواخر أيام مالك بن أنس نفسه (توفي مالك ١٧٩/٧٩٥) وعاصر دوراً من أدوارها أقطاب المالكية الأول من أمثال عبد الرحمن ابن القاسم وأشهب بن عبد العزيز وسحنون عبد السلام بن سعيد ، وهم أصحاب أجل المدونات في شرح موطأ مالك والتفريع عليه ، هذا فضلاً عن قدم المشكلة في الأندلس من أول أيامه بل قبل قيام الدولة الأموية ، فهي إذن ليست بالنازلة التي طرأت بعد « انقراض أئمة الأمصار المجتهدين » ، وإذا كان هناك محل للاستشهاد والقياس فوضعه فيما كتب هؤلاء الأئمة الذين ذكرناهم وأضرابهم في أبواب الجهاد وهي كثيرة ، ولا معنى للقياس المقتل على هجرة المسلمين الأول إلى الحبشة ثم هجرتهم إلى يثرب على أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد أدرك الشيخ الونشريشى عصر القياس في هذه الحالة ، ومضى يتكلف التقريب بين الأمرين على غير طرائق . وأغرب ما في كلامه احتجاجه بهجرة المسلمين إلى الحبشة ، مع أنها كانت إلى بلد نصراني يحكمه ملك نصراني ، ليأمنوا في ظله ورعايته !

ج - المشكلة

وبعد ، فإن المسألة فيما يبدو كانت أعسر على اجتهاد فقهاء ذلك الزمان ، وقد عبر عن ذلك أبو بكر بن العربي بعبارة أوردها الونشريشى في نصه لا تخلو من تهكم حقيق بهذا الفقيه الذي عرّف بإنكاره لاسراف المالكيين في التقليد وبميله إلى آراء الأشعريين . قال : « وهذه المسألة خراسانية عظيمة لم تبلغها المالكية ولا عرفها الأئمة العراقية ، فكيف بالقلدة المالكية ! » .

والواقع أنها مشكلة بالغة العسر : مشكلة بقاء جماعات إسلامية منقطعة تماماً عن بلاد الإسلام ، داخل بلاد نصرانية . فأما أهل المشرق ، ما بين مسلمين

ونصارى فلم يعتبروها مشكلة ، إذ لم يكن غريباً عنهم خضوع النصارى للمسلمين أو المسلمين للنصارى ، وقد جرت عادة الحيين على أن تعيش الجماعة المغلوبة في حكم الغالب في حدود وقيود لا تبلغ مبلغ القضاء على الدين أو اللغة أو الشخصية ، وصاحبُ الفصل في ذلك هو التشريع الإسلامى ، الذى وضع من أول الأمر نظاماً عادلاً لأهل الذمة أمنوا به على عقائدهم وشخصيتهم من الضياع ، وقد جرى جيرانهم الروم على آثارهم ، فصار من يقع من المسلمين تحت سلطانهم يعتبر ذمياً من وجهة نظرم ، يخضع لقيود ويؤدى أموالاً ولكنه لا يخشى على عقيدته الضياع إذا هو أحب أن يستمسك بها ، وقد تعارف الحيان على ذلك ، وعاش النصارى في أرض المسلمين ، والمسلمون في أرض النصارى ، وتكفلت حوادث الأيام وضرورات العيش بإكمال ما فات المشرعين^(١).

أما فى الأندلس فقد أخذ الأمر بعد سقوط غرناطة مباشرة اتجاهاً غريباً محزناً ، فلقد عاش النصارى فى ذمة المسلمين فى الأندلس قرونًا متطاولة ، وشاركوا جيرانهم المسلمين مر الحياة وحلوها ، ولم يتعرض أحد منهم إلى إجبار على ترك عقيدة أوتقاليد ، إلا إذا شاء ذلك مختاراً ، فلما تغيرت الأحوال وبدأ النصارى يتغلبون على بلاد المسلمين أخذت المسألة وجهة أخرى ، وتجلى شيئاً فشيئاً أن النصرية الإسبانية لا تقبل مزاحمة فيما دان لها من بلاد : بدأ الأمر فى صورة اتجاه ثم صار عقيدة ثم أصبح ، بعد سقوط غرناطة بقليل ، سياسة تنفذ ببائع العنف والقسوة .

وأكى نكون مدققين ينبغى أن نقرر أن المأساة لم تبدأ من أول يوم استولى فيه النصارى على بلد من بلاد الأندلس الإسلامى ، بل هى لم تظهر يوم خطا ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون خطوته الحاسمة التى قررت مصير الأندلس الإسلامى باستيلائه على إمارة طليطلة عام ٤٧٨ / ١٠٨٥ ، فإن سقوط طليطلة

Cf: Stephen Runciman, *The Crusades* (5th ed. Combridge 1950) I, p. 20 sqq. (١)

وتوابعها ، وإن كان قد روع مسلمى شبه الجزيرة روعاً شديداً ، إلا أنه لم يفزعهم على مصير إخوانهم كسلمين ، فإن الاستيلاء على طليطلة تم في صورة سلمية وكأنه قد دبر بليل نتيجة خيانة أمير مسلم عاجز ابتلى به المسلمون في طليطلة أولاً ثم في بلنسية بعد ذلك ، هو القادر بن ذى النون^(١) ، وحل الملك النصراني محل الأمير المسلم في هدوء يبعث على العجب ، وقد ريع المسلمون لذلك روعاً شديداً ، ولكن مخاوفهم كانت من النتائج السياسية للحادث ، ولم ينزعج أحد على مصير المسلمين الذين صاروا تحت طاعة ألفونسو ملك قشتالة وليون ، ولم يتحرك أحد من الفقهاء للكتابة في الموضوع ، ولا يعمل هذا على أحسن الفروض إلا بأنهم لم يتخوفوا على مصير إخوانهم في الدين ، أو صبروا على أمل خلاصهم القريب .

(١) دخل ألفونسو السادس طليطلة في العاشر من المحرم ٤٧٨/٦ مايو ١٠٨٥ بعد حصار قصير لم يخسر فيه شيئاً ، ويقال إن ملوك الطوائف الآخرين كانوا يقدمون لجيشه المؤت حتى يستمر في حصار إخوانهم (انظر الذخيرة لابن بسام ، طبعة كلية الآداب بجامعة القاهرة ١٩٤٥ ، القسم الرابع ، المجلد الأول ص ١٢٧ وما بعدها) ولم يقتصر الأمر على سقوط مدينة طليطلة ، بل سقطت معها توابعها ، وهي مدن وأراض كثيرة تبلغ مساحتها ربع مساحة الأندلس الإسلامي إذ ذاك ، فقد سقطت منها أو نتيجة لسقوطها طليطلة وماقده والفهمين ومجريط وطلنكة ووادي الحجارة وكررك ومورة واقلايش والمدور واليط ومدينة سالم وأبله وشقوية وفورية وأوسما وغيرها كثير . انظر بيانها في مدونة بلاى Chronicon Pelagii II في España Sagrada XIV p. 488 وجاء ذكرها كذلك في Prim. Cron. Gen. وقد ذكر ابن الكردبوس في « كتاب الاكتفاء » أنه سقط بسقوطها ثمانون منبراً (انظر Loc. de Abbadidis II p. 19) . وقد دخل ألفونسو البلد على أمان مؤكداً إعطائه لأهل البلد بضمان حريتهم وسلامة دينهم وماسجدهم وخاصة المسجد الجامع . ولكنه لم يكند يتمكن من البلد حتى بدأ رجال الدين المرافقون له يحفزونه على إخفار الذمة (كما حدث بعد سقوط غرناطة) وعلى رأسهم برناردو رئيس أساقفة سهاجون ، الذى أصبح فيما بعد أسقف طليطلة ، فبدأ بتغيير المسجد الجامع إلى كنيسة في الشهر التالي لدخوله أى في ربيع الأول ٤٧٨ / يوليو ١٠٨٥ . وقد كانت النتيجة المباشرة لسقوطها محيى المرابطين وخوضهم معركة الزلاقة (1085) Cf. Lévi-Provençal, *Alphonse VI et la Prise de Tolède* dans: *Islam d'Occident* (Paris 1948) pp. 110-135.

والترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان : الاسلام في المغرب والأندلس ، قام بها محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي وراجعها لطفى عبد البديع (القاهرة ١٩٥١) ص ١١٩ - ١٦٤

ومن الواضح أن مسمى طليطلة وتوابها لم يكونوا أول مسلمين أندلسيين ينتقلون من أرض الإسلام إلى أرض النصرانية ، فقد كان المد والجزر متصلين من أول الأمر كما ذكرنا . فأما النصارى الذين كانوا يصيرون إلى أرض المسلمين فكانوا يعتبرون أهل ذمة أو معاهدين لهم حقوق وعليهم واجبات مقررة في الشريعة ، فإذا استعربوا لساناً وأسلوب حياة واندمجوا في حياة الأندلس الإسلامى سمّاهم إخوانهم « المستعربين » وهي تسمية بدأت على ألسن الناس ولم تأخذ مكانها في النصوص إلا بعد زمن ، فاستعملها كتاب النصارى الذين ألفوا بالعربية في الكلام عن أنفسهم وإخوانهم ، وعن طريق هؤلاء انتقلت إلى كتاب النصارى الذين كانوا يكتبون باللاتينية في بلاد المسلمين ، ثم أخذها أصحاب المدونات النصرانية الذين كانوا يكتبون في بلاد النصرانية الإسبانية ، ثم استعملت في الوثائق النصرانية اللاتينية والإسبانية ، وعم استعمالها بعد ذلك ^(١) .

أما المسلمون الذين كانوا يدخلون تحت سلطان أمير مسيحي ، فليس لدينا نياً عما كان يطلق عليهم بالعربية في الأعصر الأولى ، وأما الوثائق النصرانية الرسمية والكتابات الكنسية فسميهم الماورى Mauri أى أهل الشمال الإفريقي الأوسط والغربي ، فقد كان هذه التسمية تطلق عند الرومان على أهل هذه النواحي ، ومنها جاء لفظ Mauretania (مرطانية عند المسلمين) . أى بلاد الماورى ، وقد يسمون ماورى باتسى Mauri Paci أى الماورى المستأمنين أو المسلمين ، وإذا تتبعنا تطور معنى لفظ Mauri وما يقابله في الإسبانية — وهو Moro — حتى صار في مقابل عربى أو « مسلم » كانت ترجمة هذا المصطلح الأخير : المسلمين أو العرب المستأمنين أو المسلمين . ثم ظهرت في النصوص استعمالات مثل Moros del Rey (= مساهو أو عرب الملك) و Vasallos

(١) بخدنا تطور هذا المصطلح في كتابنا « فجر الأندلس » وهو يطبع حالياً بالقاهرة .

Moros (= المسلمون أو العرب التابعون) ، بل أطلق الإسبان لفظ مورو على المسلمين الأندلسيين عامة ، فقالوا : ad terras de Moros (عند بلاد المسلمين أو العرب) أو in terra de Mauros (في أرض المسلمين أو العرب) و en terres de Moros ولها نفس المعنى السابق .

وفي نواحي نَبْرَة وأرغون استعمل لفظ Sarraceno في الكلام عن خضع لأمراء هذه النواحي من المسلمين ، وهي الصورة الدارجة التي صار إليه لفظ Sarracenus اللاتيني ، وقد استعمل هذا اللفظ بذلك المعنى في كل الوثائق التي صدرت عن دواوين ألفونسو الثاني (ملك أرغون ١١٦٢ - ١١٩٦) وخايمة الأول (ملك أرغون وميورقة ١٢٠٨ - ١٢٧٦) وبدرو الثالث (ملك أرغون ١٢٧٦ - ١٢٨٥) وخايمة الثاني (ملك ميورقة ١٢٤٣ - ١٣١١) ثم ملك مونبلييه وميورقة ١٢٧٨ - ١٣١١) ، ثم حل لفظ مورو محل ساراسينو وأصبح التسمية العامة لمسلمي الأندلس والمغرب ، وربما استعمله بعضهم لمسلمي المشرق أيضاً^(١) .

أما لفظ مُدَجِّن فتاريخه غامض حتى الآن ، ويبدو أنه استعمال دارج جرت به ألسنة المسلمين في تسمية إخوانهم الذين بقوا في بلادهم بعد استيلاء النصارى عليها ، وهو مشتق من دَجِّن أي أقام خاضعاً ، وكما انتقل لفظ « مستعرب » من ألسنة الناس إلى كتابات النصارى الذين أقاموا في بلاد المسلمين وكتبوا بالعربية ، ثم إلى كتابات النصارى في بلادهم ، فكذلك حدث للفظ دجن ، غير أنه تحرف على ألسن الإسبان في بعض الأحيان إلى دَجَل ودجر ، وصار الموصوف به يسمى مدجَّل في أحيان قليلة ومُدَجَّر في معظم الأحيان ، وعلى هذه الصورة انتقل إلى الإسبانية الدارجة فقلوا Mudejar ، واختفى أصله باختفاء اللغة العربية من ألسن المسلمين الذين تناولت بهم السنون في أرض النصارى ، ولكن معناه

(١) Isidro de las Cagigas, *Los Mudejares*, tomo I (Madrid 1948) p. 59-61.

ظلم وانحما ، ففي القاموس المسمى *Vocabulista in Arabico* ، وقد ألف في شرق الأندلس في القرن الثالث عشر بترجم لفظ *Mudejar* بـ *Tributarius* أى مُعاهد ، مما يدل على أن أولئك المسلمين الذين دجنوا كانوا يعتبرون معاهدين ، وقد ذهب إيسدرو دى لاس كاخيجاس إلى أن اللفظ لا بد أن يكون قد استعمل أولاً في أرغون ، فهو على هذا من استعمالات يمنية النثر الأعلى ، ثم شاع استعماله بعد ذلك ، وأصبح يطلق على عامة المسلمين الذين يقعون في بلادهم بعد استيلاء النصراني عليها ، وهو سابق على لفظ الموريسكيين *Moriscos* الذى استعمل في أول الأمر في القرن الخامس عشر أثناء الصراع الأخير بين النصرانية وملكة غرناطة للدلالة على من كان يدخل في طاعة ملوك النصرانية من أهل نواحي مملكة غرناطة ، ثم أطلق على مسلمي غرناطة أجمعين عند ما سقطت في أيدي ملكي قشتالة وليون ، ثم حل محل لفظ « مودينجار » خلال القرن السادس عشر في الدلالة على من بقى من العرب في الأندلس سواء منهم من بقى على دينه ومن تنصر وسواء أكان معاهداً حراً ، وهو الوضع الأول لأهل غرناطة ، أو خاضعاً للسلطان المسيحي مباشرة ، وهو حال بقية الجماعات الإسلامية القليلة التي قضى عليها التحقيق في عنف وقسوة^(١) .

(١) نفس المصدر من ٥٨ — ٥٩

F. Fernández y Gonzalez, *Estado Social y político de los Mudejares de Castilla* (Madrid 1866) p. 3 sqq.

وانظر أيضاً الاستدراك الهام من ٥٣

وقد ذهب بعضهم إلى أن لفظ *Mudejar* جاء من اللفظ العربي مداخل بمعنى داخل تحت حكم النصراني ، جاء في الحلة السراء لابن الأبار « . . . وعاد إلى شلب وكان يجالس ابن قسى في ولايته عليها من قبل الموحدين إلى أن خلع وعذبهم واصلخ من طاعتهم وداخل النصراني » وجاء في تاريخ ابن خلدون : « . . . وفي ثاني جمادى عقد طلحة بن يحيى بن علي وكان بعد مداخلة النصراني . . . » (انظر فرناندث جنتالده ، المرجع السابق ص ٤) ، بل ذهب آخرون إلى أن أصل اللفظ : دجل بمعنى كذب وادعى والاسم مدجل ، أو دجر بمعنى صفر وضعف ، وكلاهما تعليلات لا تقوم على أساس قال بها فرف من لم يعرفوا المراجع العربية معرفة جيدة مثل :

A. Circourt, *Histoire des Mores Mudejares*, I, 92, III, 307 et note.

غير أن المسلمين في المغرب والأندلس لم يعرفوا في الكلام عن أوائك المسلمين إلا لفظ المدجنين أو أهل الدجن أو الدّجن فقط ، سواء أ كانوا يسمون موذيخاريس أو موريسكوس ، وقد يسمون أهل الذمة أو الذمة أو المسلمين الذميين كما نرى في الوثيقة التي نشرها .

قلنا إن حال المدجنين لم يكن سيئاً من أول الأمر ، بل لم يسؤ حالهم بعد سقوط طليطالة سنة ١٠٨٥/٤٧٦ ، ويبدو أنه كان هناك اتجاه إلى إقرارهم على عقيدتهم دون التعرض لهم فيها ، وقد سمي ألفونسو السادس الذي استولى على طليطالة نفسه « بالامبراطور ذي اللتين^(١) » ، وهذا فيما يبدو هو الذي طأن بقية المسلمين على مصير إخوانهم ، فلم يسرعوا ولم يتحرك فقهاء الأندلس لدراسة الموضوع ، غير أن الوضع تغير بعد موقعة الزلاقة ١٠٨٧/٤٧٨ وما تلاها من صراع مرير بين الإسلام والنصرانية على مصير الأندلس ، وهو صراع عولت فيه بقية الأندلس الإسلامي على عون إخوانهم من أهل المغرب ، واستنجد فيه ملوك اسبانيا بإخوانهم نصارى غالة وبالباوية ، وتدخل رجال الدين ما بين قساوسة ورهبان إسبان ورهبان كلونيين ومندوبين بابويين ، وهؤلاء جميعاً هم الذين حولوا الصراع إلى حرب صليبية ، وبدأت المجازر والمذابح ، وتحول الأمر إلى حرب إفناء ، وفي غمار هذه الحرب الطويلة فقد المادجنون حقوقهم وضمائماتهم ، واجتهد رجال الدين في التآليب عليهم وإفساد أمرهم ، فتمرضوا لشتى صنوف الأذى وتنصر منهم مجبراً من تنصر وهاجر من هاجر وقتل من قتل ، ولم تبق منهم عند سقوط غرناطة إلا جماعات كبيرة محصورة في نواحي النغر الأعلى وفي بلنسية

(١) انظر قول ابن الكردبوس في كتابه « الاكتفاء » : وتسمى بالامبراطور ، وهو بلفظهم أمير المؤمنين ، وجعل يكتبه في كتبه الصادرة عنه : « من الامبراطور ذي اللتين » عند دوزي Loci de Abbadidis ج ٢٠ ص ٢٠ . ويبدو أن هذا اللقب هو الترجمة العربية التي اختارها ألفونسو السادس — وكان يعرف العربية — في مقابل اللقب الرسمي الذي اختاره لفه وهو :

Impertar totius Hispaniae.

Cf: Menéndez Pidal, *La España del Cid* (4ª edición, Madrid 1947) p. 321.

وقرطبة واشبيلية وأبله وشقوبية وبعض المدن الأخرى ، وجماعات صغيرة في كل بلد وناحية إسبانية تقريباً^(٢) .

وكما يحدث عادة ، كان أول الناس هجرة الأغنياء والأعيان والرؤساء ورجال الدين فمضوا مخلفين وراءهم الضعاف من الزراع والعمال وأهل المدن ، أى أن الجماعات الخلفة أصبحت شيئاً فشيئاً من غير قيادة ، لا تجد من يحفظ وحدتها أو يوجهها في دين أو سياسة ، وتعرضت بذلك للانحلال والزوال ، ولو أقام الرؤساء والأعيان ونقباء أهل المهن وشيوخ الدين لما انحلت أمر هذه الجماعات ولكن لما شأن آخر ، شأنها في ذلك شأن المستعربين ، فقد أقام معهم ، تحت ذمة الإسلام ، أغنياؤهم ورؤسائهم وقساوتهم ، فظلت لجماعاتهم شخصيتها وإن قلت أعدادها ، وظل فيها دائماً من يتكلم باسمها ويخاطب رجال الدولة في شأنها ، فلم تتلاش أبداً ، وربما عجزى معظم ما أصاب المدجنين إلى تخلى رؤسائهم ورجال دينهم عنهم ، وسنرى في الضميمة التي أتينا بها ذيلاً على فتوى الونشريشى مسئولية الشيوخ واضحة ، إذ لم يكفهم أن يفروا بأنفسهم مخلفين أهل دينهم ، بل حرموا البقاء على من أراده من الرؤساء . وطلبوا إليهم الهجرة ، ومعنى ذلك ترك الضمفاء وحدهم يفعل العدو بهم ما يريد .

وشيناً فشيئاً نجد أعداد هذه الجماعات من المدجنين تقل ومستوام يهبط

(١) أورد فرناندث جندالد ذيلاً على كتابه الآف الذكر عن المدجنين مجموعة من الوثائق اللاتينية والعربية والإسبانية تعطى صورة عن تطور الوضع الاجتماعى للمدجنين في حكم النصارى ابتداء من القرن الحادى عشر ، وفي رأينا أنه لا يستطاع التأريخ للمدجنين والموريكيين دون قراءة هذه الوثائق وتحليلها واستخراج ما فيها (وهو ما فعله فرناندث جوندالد) وخاصة الوثيقة رقم ١٠ (س ٣٠٦) وهى قرار مجلس الأتران برئاسة البابا إسكندر الثالث سنة ١١٨٠ بخصوص حرمان اليهود والمسلمين من بعض الحقوق ، والوثيقة رقم ١١ (سنة ١١٩٩) بخصوص حرمان النصارى الذين يخالفون هذه التعليمات ويعانقون المسلمين من بركة الكنيسة . ورقم ١٢ (سنة ١٥١٥) وهى قرار مجلس الأتران برئاسة البابا انوسنت الثالث بخصوص إلزام اليهود والمسلمين بملابس خاصة يفرقهم عن المسيحيين ، وكل ما بعد ذلك من الوثائق عظيم الأهمية

بتوالى الأجيال وانقطاع الصلة بمواطن العروبة والاسلام ، فنجدهم يفقدون لغتهم قليلا قليلا ، ولا يهتمون منها إلا برسم الحروف العربية ، يكتب بها القادرون على الكتابة منهم ما يريد كتابته من عقود ووثائق ، وربما كتبوا كتباً في الدين والقصاص وما إلى ذلك ، وكانوا يكتبون بها كأنها لغة سرية بينهم ، يسجلون بها ما يريدون دون أن يخشوا اطلاع أعين الرقباء على ما فيها ، وقد يكتبون بها لأنهم لا يعرفون غيرها ، ولدينا من هذه الحالات كثير .

ولقد ظلت بقايا قليلة من هذه الجماعات محتفظة — رغم القيود والارهاب — بدينها وحروف لغتها العربية حتى أواخر القرن السادس عشر الميلادي ، وربما السابع عشر ، ونجم من بينها رغم كل شيء رؤساء على جانب كبير من الشهامة وكرم الأرومة وثبات الدين ، بل ظهر فيهم شعراء وكتاب عثنا على آثار بعضهم ، مما فصلنا أمره في كتاب « تاريخ الفكر الأندلسي » ، فلو انطبق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القابض على دينه كالقابض على الجمر » لصدق عن هؤلاء دون غيرهم ، وهؤلاء هم الذين يفهم الشيخ الونشريشي بالكفر والمعيان ويفتي في أمر إيمانهم وهو متبجح في داره في فاس^(١) .

وقد فاتته أن ضعفاء الناس أكثر من الأقوياء ، وأن العاجزين عن الرحلة والهجرة هم الضالية العظمى ، وأن الهجرة لم تكن إذ ذاك رحلة هينة تتوقف على رغبة المسلم الذي وقع في ذلك المأزق ، بل كانت أمراً عسيراً كل المسر حافلاً بالصعوبات والمخاطر والمكاره ، إذ كان لا بد للعازم عليها أن يؤدي قدرأ من المال ذهباً حتى تأذن له السلطات في الانتقال ، وكانت الطرقات مخوفة لا يأمن المهاجر على نفسه فيها ، وهو إذا انسلخ عن موطنه وسار في الطرقات الموحشة لم يأمن أن يسطو عليه من يلقاه ويقتله أو يأسره ويبيعه بيع الرقيق ، وكان البحر

(١) انظر : أنجل جنزالد بالنيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، نقله إلى العربية حسين مؤنس (القاهرة ١٩٥٥) ص ٥٠٧ وما يليها .

نفسه مخوفاً لا تأمن فيه صفار السفن ، وهي التي يستطيع أولئك المهاجرون الركوب فيها ، وكان رجال الدولة في المراكب لا يطلقونه حتى يدفع لهم مالا ، فإذا كتبت له السلامة والوصول إلى العدو المغربية لم يجد من يرحب به أو يفتح له باب الرزق ، كما نرى من شكوى بعضهم في السؤال الذي أجاب عنه الشيخ الونشريشى بهذه الفتوى . وأخيراً وليس آخراً ، فالوطن عزيز ومفارقة الديار عسيرة ، ولقد أنصفهم فرناندث جنزالد عند ما شبههم بملاح يحتمل أقسى أحوال البحر دون أن يغادر سفينته^(١) .

غابت كل هذه النواحي الإنسانية عن صاحب الفتوى ، وفاته أيضاً أنه كان عليه وعلى أصحابه الشيخ ، قبل أن يصدر هذه الفتوى ، أن يفعل شيئاً لاستنقاذ أولئك الناس ، كأن يوجد بشيء من ماله ويتصدى لجمع المال لاستنقاذهم ، فقد كانت الهجرة في ذلك الوقت مسألة مال ، وفاته أن ينهض أو يبحث غيره على النهوض لاستقبال أولئك المساكين وتيسير أمر مقامهم ومعاشرهم في بلد المغرب ، وذلك أبسط ما كان يتوقع ، وقد فعله ققيه من طراز آخر هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التيمي المعروف بالمازري نسبة إلى مازره من مدن صقلية المتوفى سنة ١٠٤١ / ٥٣٦ فقد قال في ترجمته الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب : « ... والذي يهمننا من هذا كله هو ما يؤثر عن الإمام المازري من أنه كان — في تلك الأثناء — يكرم من يفد على إفريقية من مهاجرى صقلية ، فيوسع على فقيرهم ، ويساعد بالنصيحة الميسور منهم ، عطفاً على أولئك اللاجئين المصابين بفقدان الوطن ، وقد استقر منهم كثير في أحواز المهديّة والمُنْتَبِزِ وسوسة ، فاشترى الأراضين لأثمارها بالفلاح ، فكان المازري أكبر معين لهم على استقرارهم في الوطن الجديد ، وتأسيس غربتهم » ولكن الونشريشى لم ينظر إلى هذا المثل

(١) انظر عن ذلك الكتاب القيم الذى وضعه خوليو كارو باروجا عن المورسكين ، وهو فى رأينا أدق ما كتب فى موضوعهم :

Julio Caro Baroja, *Los Moriscos del Reino de Granada* (Madrid 1957) p. 205 sqq.

الكريم الذي ضربه ذلك العالم التونسي ، بل لم يتدبر رأيه في موضوع المدجنين واعذاره لهم في المقام بأرض النصارى وتجويزه ولاية قضائهم ، وقد علق على فتوى المازرى الأستاذ ح. ح. عبد الوهاب بقوله : « ولا غرابة أن تصدر عن المازرى تلك الفتوى الفريدة من نوعها لاعذار أهل صقلية عن مهاجرة بلادهم ، وأن يظهر من الرأفة والشفقة لمن بقي منهم فيها ، وهو أعلم الناس بحالمهم ، وبما كانت تكنه نفوسهم من الحسرة على مبارحة أوطانهم ، والله يفعل ما يريد (١) » .

لقد كان لفتوى الونشريشي وأمثالها أسوأ الأثر على مصير الجماعات الإسلامية الباقية في الأندلس ، فقد حُكِمَ عليها بالكفر وهي مقيمة في الجحيم الذي كانت تعانيه ، وما دام فقهاء الإسلام قد حكوا بكفرها ، فأى شيء هو أهون عليها من أن تدخل في النصرانية ؟ وفي هذا الدخول نجاحها على الأقل من عذاب الأرض الذي كانت تعانيه ؟ وصدق الامام أبو حامد الغزالي عند ما قال : « القلب خارج عن ولاية الفقيه » .

ولا حاجة بنا إلى تحليل الفتوى ، فهي في خير حاجة إلى تحليل ، إنما هي فتوى تقليدية تلتبس بالحجج على الترتيب من القرآن الكريم والحديث الشريف ثم من أقوال الفقهاء ، وفي أثناء ذلك تتأول وتفسر كما تريد ، وربما كان أهم ما فيها آراء الفقهاء التي حدثت فيها ، وكلها تدعو إلى التأمل والتفكير .

وقد أُلحقت بهذا النص صورة فتوى أخرى للشيخ الونشريشي أيضاً في شأن رجل من الأندلسيين التمس موافقة الفقهاء على البقاء في الأندلس لمعاونة إخوانه الضعفاء والتكلم باسمهم عند السلطات ومداخلة الرؤساء رعاية لشئونهم ، فأجاب الونشريشي بالرفض ، وأخذ يحتج بحجج أو هي مما اعتمد عليه في فتواه الأولى ، وحكم على الباقيين في الأندلس من المسلمين بالكفر والعصيان واسترسل في ذلك ما

(١) حسن حتى عبد الوهاب ، الامام المازرى (تونس ١٩٥٥) ص ٩١

شأ. (١) وهذه الفتوى واردة في « المعيار » ج ٢ ص ١٠٦ وما يليها بعد نص « أسنى المتاجر » مباشرة .

وقد وردت الفتوى مرسلة في الأصل دون تقسيم أو تبويب ، وإن كان ناسخ النسخة التي طبعت على الحجر في فاس قد أضاف بعض عبارات تشبه المناوين في الهامش (وقد أثبتت هذه الهوامش كلها في التعليقات) . ولهذا قد قسمتها إلى فقرات وجعلت للفقرات عناوين اخترت ألفاظها من كلام المؤلف نفسه ، وجعلت لهذه الفقرات أرقاماً تيسيراً للمراجعة والإشارة .

وقد استعملت الرموز التالية :

- لفظ الأصل : يشير إلى مخطوط الاسكوريال رقم ١٧٥٨
 حرف م : يشير إلى النص كما ورد في المعيار المغرب للونشريشي
 ج ٢ ص ٩٠ - ١٠٦
 حرف د : يشير إلى فتوى للإمام المازري أوردها الونشريشي في فتواه
 والشيخ ابن عظوم القيرواني في كتابه « الدكانة »
 ونشرها الأستاذ ح. ح. عبد الوهاب في كتابه عن
 « الإمام المازري » (تونس ١٩٥٥) ص ٨٧ - ٨٩

حسين مؤنس

(١) ترجم جزء من هذه الوثيقة اهدرو دي لاس كاجيجاس في كتابه الآف الذكر عن

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليماً

كتب إلى الشيخ الفقيه المظيم الخطيب الفاضل القدوة الصالح ، البقية ،
والجلمة الفاضلة النقية ، المدلل الأَرْضَى أبو عبد الله بن قَطِيَّه ، أدام الله سموه
ورقيته ، بما نصه :

١ - المسألة : هل تجوز إقامة المسلم في بلد غلب عليه النصارى ؟

الحمد لله وحده

جوابكم^(١) ياسيدي ، رضى الله عنكم ، ومتع المسلمين بحياتكم في نازلة ،
وهي : أن قوماً من هؤلاء الأندلسيين الذين هاجروا من الأندلس ، وتركوا
هناك الدور والأرضين والجنات والكرامات وغير ذلك من أنواع الأصول ،
وبذلوا زيادة على ذلك كثيراً^(٢) من ناض المال^(٣) ، وخرجوا من تحت حكم
الملة الكافرة ، وزعموا أنهم فروا إلى الله سبحانه بأديانهم وأنفسهم وأهليهم
وذرياتهم ، وما بقي بأيديهم أو أيدي بعضهم من الأموال ، واستقروا بحمد
الله سبحانه بدار الإسلام ، تحت طاعة الله ورسوله ، وحكم الذمة المسلمة ،

(١) يريد : ما جوابكم ؟ وقد أساء ماركوس مولر فهم العبارة ، وقال إن المراد : سؤالكم .

(٢) الميعار ، ص ٩١ : وبذلوا على ذلك زيادة كبيرة .

(٣) الناض : النض عن الأسمه من الدرهم الصامت ، والناض من المتاع ما تحول ورقاً وعبناً .
وعن ابن الأعرابي : اسم الدرهم والدنانير عند أهل الحجاز الناض والنض ، وإنما يسمونه ناضاً إذا
تحول عبناً بعد ما كان متاعاً . والنض الحاصل يقال : خذ ما نض لك من غريمك ، وخذ ما نض لك من
دين أي تيسر . وكان عمر بن الخطاب يأخذ الزكاة من ناض المال أي ما كان ذهباً أو فضة عبناً أو
ورقاً (لسان العرب ١٠٥/٩) . وفي أساس البلاغة : أعطاه من ناض ماله : من صامته من الورق
والعين (٤٥١/٢) وجاء في ملحق القواميس لدوزي : الناض هو المال المعجل ، ويستعمل أيضاً في
مقابل السلع والأشياء يقال : « وأجرى عليه الرزق من الطعام والأدام والناض » (مقري ، نضج ٢/
١٥٩) وانظر أيضاً رحلة ابن جبير ص ٣٥ . ويقال أيضاً ، دراهم ناضة و « توفي عن ثلاثة آلاف دينار
ناضة . Supplément... II, 681 وقد استعمل لفظ الناض في الأندلس لضريبة مالية عامة تدفع قديماً .

ندموا على الهجرة بعد حصولهم بدار الاسلام^(١) — تسخطوا^(٢) ، وزعموا أنهم وجدوا الحال عليهم ضيقة ، وأنهم لم يجدوا بدار الاسلام ، التي هي دار المغرب هذه ، صانها الله وحرس أوطانها ، ونصر سلطانها ، بالنسبة إلى التسبب في طلب أنواع المعاش على الجملة ، رفقا ولا يُسراً ولا مرتفقا ، ولا إلى التصرف في الأقطار أمناً لايقاً ، وصرّحوا في هذا المعنى بأنواع من قبيح الكلام الدال على ضعف دينهم وعدم حجة يقينهم في معتقدم ، وأن هجرتهم لم تكن لله ورسوله ، كما زعموا ، وإنما كانت لدنيا يصيبونها عاجلاً عند وصولهم ، جاريةً على وفق أهوائهم ، فلما لم يجدوها وفق أغراضهم ، صرحوا بدم دار الاسلام وشأنه ، وشتم الذي كان السبب لهم في هذه الهجرة وسبه ، ومدّح دار الكفر وأهله ، [٨٣ب] والندم على مفارقتها ، وربما حَفِظَ عن بعضهم أنه قال على جهة الإنكار للهجرة إلى دار الاسلام ، التي هي هذا الوطن صانه الله : « إلى ها هنا يهاجر من هنايك ؟ بل من ها هنا تجب الهجرة إلى هناك ! » وَعَنْ آخِرِ مِنْهُمْ أَيْضاً أَنَّهُ قَالَ : إِنْ جاز^(٣) صاحب قشتالة إلى هذه النواحي نسير إليه فنطلب منه أن يردنا إلى هناك » يعني إلى دار الكفر ، ومعاودة الدخول^(٤) تحت الذمة الكافرة كيف أمكنهم .

فما الذي يلحقهم في ذلك من الإثم ونقص رتبة الدين والجرحة ؟ وهل هم به مرتكبون المعصية — التي كانوا فروا منها — إن تبادوا على ذلك ، ولم يتوبوا ولم يرجعوا إلى الله سبحانه منه ؟ وكيف بمن رجع منهم بعد الحصول في دار الإسلام إلى دار الكفر والعياذ بالله ؟

(١) على هامش العيار : ... أرض الإسلام وتمنى الرجوع إلى أرض الكفر .

(٢) الميار ص ٩١ : وسخطوا .

(٣) م : ٩١ : جا .

(٤) م : ٩١ : معاودة للدخول .

وهل يجب على من قامت عليه منهم بالتصريح بذلك أو بمغضاه شهادة أدب أو لا ؟ حتى يُتقدم إليهم فيه بالوعظ والإبذار ، فمن تاب إلى الله سبحانه نُزِكَ ، ورجِيَ له قبول التوبة . ومن تمادى عليه أدبٌ أو يُمرض عنهم ، ويُترك كل واحد منهم وما اختاره ؟ فمن ثبته الله في دار الاسلام راضياً ، فله نيته ، وأجره على الله سبحانه ، ومن اختار الرجوع إلى دار الكفر ، ومعاودة الذمة الكافرة ترك يذهب إلى سخط الله ، ومن ذم دار الاسلام منهم تصريحاً أو معنى ترك وما عوّل عليه ؟

بينوا لنا حكم الله تعالى في ذلك كله . وهل من شرط الهجرة — ألا يهاجر أحد — إلا إلى دنيا مضمونة ، يصيبها عاجلاً عند وصوله ، جارية على وفق غرضه حيث حل أبدأً من نواحي الإسلام ؟ أو ليس ذلك بشرط ، بل يجب عليهم الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام ، إلى حل أو سر ، أو وُسع أو ضيق ، أو عسر أو يسر ، بالنسبة [١٨٤] إلى أحوال الدنيا ، وإنما القصد بها سلامة الدين والأهل والولد مثلاً^(١) ، والخروج من حكم الملة الكافرة إلى حكم الملة المسلمة^(٢) إلى ما شاء الله من حل أو سر ، أو ضيق عيش أو وسعته ، ونحو ذلك من الأحوال الدنياوية ؟ بياناً شافياً مجرداً^(٣) مشروحاً كافياً ، يأخُزكم الله سبحانه ، والسلام الكَرِيم بَعْتَمِر^(٤) مقامكم العليّ ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

فأجبت بما هذا نصه :

الحمد لله تعالى وحده ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد بعده ،

(١) كذا في الأصلين .

(٢) في الهامش : أسمى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر .

(٣) م : مجرداً .

(٤) كذا في الأصلين ، وربما كانت صحتها : بتمند .

٢ - الجواب : الهجرة إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة

الجواب عما سألتكم عنه ، والله سبحانه ولى التوفيق بفضلته : إن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة^(١) . وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل بظلم أو فتنه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن يكون خيراً مال المسلم غَنَمٌ يتبع بها شعب^(٢) الجبال ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن » أخرجه البخارى والموطأ وأبو داود والنسائى . وقد روى أشهب عن مالك : « لا يقيم أحد في موضع يُعْمَل فيه بنير الحق » . قال في « العارضة^(٣) » : فإن قيل : فإذا لم يوجد بلد إلا كذلك ؟ قلت^(٤) : يختار المرء أقلها إثماً ، مثل أن يكون البلد^(٥) فيه كفر ، فبلد^(٦) فيه جور خير منه ، أو بلد فيه عدل وحرام ، فبلد^(٧) فيه جور وحلال خير منه للمقام ، أو بلد فيه معاصي في حقوق الله فهو أولى^(٨) من بلد فيه معاصي في مظالم العباد . وهذا الامتداد دليل على ما رواه^(٩) وقد قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : فلان بالمدينة وفلان بمكة وفلان باليمن ، وفلان بالعراق وفلان بالشام ، امتلأت الأرض والله جوراً وظلماً^(١٠) انتهى .

(١) في مقابلة هذا السطر في الهامش : الهجرة من أرض الكفر وأرض الظلم والفساد .

(٢) م : شنف .

(٣) الإشارة إلى عارضة الأحوذى في شرح الترمذى ، لأبى بكر محمد بن الربيع (توفى ٥٥٣ /

١١٥٨) مخطوط بمكتبة القرويين بفاس ، رقم ٥٢٦ ، ومنه نسخة في المدينة المنورة ، الطر مجلة جمعية المستشرقين الألمانية ZDMG, 90, 190 (بروكلمان ، ملحق ج ١ ص ٢٦٨ و ص ٨٠٠ رقم ١٥٠) .

(٤) م : قلنا .

(٥) م : بلد .

(٦) م : فبلد .

(٧) م : وبلد .

(٨) يريد : أولى بالهجرة منه .

(٩) كذا في الأصلين ، ويبدو أنه سقط بعد ذلك شيء .

(١٠) إشارة إلى قول معروف لعمرو بن عبد العزيز عن عمال خلفاء بني أمية قبله .

٣ - لا تجوز الإقامة إلا في حالة العجز عن
المجرة بكل وجه الأدلة من القرآن الكريم

ولا يسقط هذه الهجرة الواجبة على هؤلاء الذين استولى الطاغية لعنة الله
[تعالى] ^(١) على معاقلمهم وبلادهم إلا تصوُّرُ العجز عنها بكل وجه وحال ،
لا الوطن والمال ^(٢) ، فإن ذلك كله مُلغى في نظر الشرع ، [٨٤ ب] قال الله
تعالى : « إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، لا يستطيعون حيلة ولا
يهتدون سبيلاً فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ، وكان الله عفواً غفوراً ^(٣) »
فهذا الاستضعاف المعفُوُّ عن اتصف به غيرُ الاستضعاف المعتذر به ^(٤) في أول
الآية وصدورها ، وهو قول الظالمى أنفسهم : « كنا مستضعفين في الأرض » ،
فإن الله تعالى لم يقبل قولهم في الاعتذار به ، فدل على أنهم كانوا قادرين على
المجرة من وجه ما ، وعفا عن الاستضعاف الذي لا يُستطاع معه حيلة ولا
يهتدى به ^(٥) سبيل ، بقوله : « فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم » و « عسى »
من الله واجبه . فالمستضعف المآب في صدر الآية ^(٦) هو القادر من وجهه ،
والمستضعف المعفُوُّ عنه في عجزها هو العاجز من كل وجه . فإذا عجز المبلى
بهذه الإقامة عن الفرار بدينه ، ولم يستطع سبيلاً إليه ^(٧) ، ولا ظهرت له حيلة

(١) هذه الكلمة غير واردة في : م .

(٢) كذا في الاصل ، وفي م : الوطن والمال . والعبارة فلقه على أى حال .

(٣) النساء ، ٩٧ - ٩٨ . وهاتان الآيتان متصلتان بالآية التي قبلها وهي : « إن الذين توفاهم
الملائكة ظالمى أنفسهم ، قالوا فيم كنتم ، قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة
فتهاجروا فيها ، فأولئك أوامم جهنم وساءت مصيراً » ويكمل المعنى أيضاً الآيات التالية لها : « ومن
يهاجر في سبيل الله فيجد في الأرض مراعماً كثيراً وسعة ، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله
ورسوله ، ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ، وكان الله غفوراً رحيماً » .

(٤) زيادة في م .

(٥) زيادة في م .

(٦) الأصل : في هذه الآية .

(٧) زيادة في م .

ولا قدرة عليه^(١) بوجه ولا حال ، وكان بمثابة المقعد أو المأسور ، أو كان مريضاً جداً أو ضعيفاً جداً لم يند^(٢) يرحي له العفو ، وبصير^(٣) بمثابة المكروه على التلفظ بالكفر ، ومع هذا لا بد أن تكون له نية قائمة أنه لو قدر وتمكن لهاجر ، وعزم صادق مستصحّب أنه إن ظفر بمكئة وقتا ما^(٤) فيهاجر . وأما المستطيع بأى وجه كان ، وبأى حيلة تمكنت فهو غير معذور وظالم لنفسه^(٥) إن أقام ، حسبما تضمنته الآيات والأحاديث الواردة : قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق » إلى قوله : « ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل^(٦) » وقال الله^(٧) تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يآلؤنكم خبيلاً ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون^(٨) » وقال الله^(٩) تعالى : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير^(١٠) »

(١) م : ولا قدر عليها .

(٢) م : فجزه .

(٣) م : ويكون .

(٤) الأصل : وقتا ما و م : وقتا ما فيها هاجر ، والأقرب إلى السياق ما أبتناه ، على اعتبار

أن م م : أصح وان « ها » زيادة من النسخ سهواً .

(٥) م : نفسه .

(٦) سورة المتحة ، آية ١ ، وهذا نصها كاملاً : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى

وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلنا وابتناه مرضاتى ، تسرون إليهم بالمودة ، وأنا أعلم

بما أخفيتم وما أعلنتم ، ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل .

(٧) زيادة في م .

(٨) آل عمران : ١١٨

(٩) زيادة من م .

(١٠) آل عمران : ٢٨

[١٨٥] وقال تعالى : « ولا تركزوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ، ومالككم من دونه من أولياء ، ثم لا تنصرون ^(١) » وقال تعالى : « بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أئبتفون عندهم العزة ، فإن العزة لله جميعاً » إلى قوله « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ^(٢) » وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أريدون أن تجعلوا الله عليكم سبطاناً مبيناً ^(٣) . » وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين ^(٤) » وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ، لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ، واتقوا الله إن كنتم مؤمنين . وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ^(٥) » وقال تعالى : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ^(٦) » وقال تعالى : « إن الذين توفاهم الملائكة ظلمى أنفسهم ، قالوا فيم كنتم ، قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً ، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ، وكان الله عفواً غفوراً ^(٧) » وقال تعالى :

(١) هود ١١٣

(٢) النساء ١٤٤ . ومختلف نص الاصل مع نص م فى ترتيب الاستشهاد بهذه الآيات الثلاث .

(٣) المائدة ٥١

(٤) المائدة ٥٧ — ٥٨ . وفى الاصل بتر فى هاتين الآيتين ، ووردتا كاملتين فى م .

(٥) المائدة ٥٥ — ٥٦

(٦) النساء ٩٧ — ٩٨ . وورد فى م فى مقابل السطر : وقد تقدمت هذه الآية فى الوجه

قبل وأعادها هنا .

« ترى كثيراً منهم يتولّون الذين كفروا لئیس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم ، وفي العذاب هم خالدون ، ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ، ولكن كثيراً منهم فاسقون ^(١) » والظالمون أنفسهم في هذه الآية السابقة إنما هم التاركون للهجرة مع القدرة عليها ، حسبما تضمنه قوله تعالى : « ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فظلمهم أنفسهم إنما كان بتركها ، وهي الإقامة مع الكفار وتكثير سوادهم ، وقوله : « توفاهم الملائكة » فيه تنبيه ^(٢) على أن الموعّخ على ذلك والمعاقب ^(٣) عليه إنما هو من مات مصراً على هذه الإقامة [٨٥ب] ، وأما من تاب عن ذلك وهاجر ، وأدرکه الموت ولو بالطريق فتوفاه الملكُ خارجاً عنهم ، فيرجى قبول توبته ألا يموت ظالماً لنفسه . ويدل ذلك أيضاً على قول الله تعالى : « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله » إلى قوله : « وكان الله غفوراً رحيماً ^(٤) » .

فهذه الآي ^(٥) القرآنية كلها ، أو أكثرها ، ما سوى قوله : « ترى كثيراً منهم » إلى آخرها نصوص في تحريم الموالاة الكفرانية . وأما قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولم منهم فإنه منهم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين » فما أبقت متعلقاً إلى التطرق لهذا التحريم ، وكذلك قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين » .

(١) المائدة ٨٠ - ٨١

(٢) م : التنبية .

(٣) م : المعاقب ، بدون واو .

(٤) النساء ١٠٠ . ونس الآية : « ومن يهاجر في سبيل الله فيجد في الأرض مهجماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً » .

(٥) م : الآيات .

٤ - من أجاز هذه الإمامة ملوق من الدين ومفارق لجماعة المسلمين

وتكرار الآيات في هذا المعنى ، وجريها على نسق ووتيرة واحدة مؤكدة للتحريم ورافع للاحتمال المتطرق إليه ، فإن المعنى إذا نص عليه وأكد بالتكرار فقد ارتفع الاحتمال لا شك^(١) فتماضد^(٢) هذه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والاجامات القطعية على هذا النهى ، فلا تجدد في تحريم هذه الإمامة وهذه الموالاة الكفرانية مخالفاً من أهل القبلة المتمسكين بالكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد . فهو تحريم مقطوع به من الدين كتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وقتل النفس بغير حق وأخواته من الكليات الخمس التى اطبق أرباب الملل والأديان على تحريمها ، ومن خالف الآن فى ذلك أو رام الخلاف من المقيمين معهم والراكنين إليهم فحوز هذه الإمامة واستخف أمرها واستسهل حكمها فهو مارق من الدين ومفارق لجماعة المسلمين ، وتحتجج بما لا مدفع فيه لمسلم ، ومسبوق بالاجماع الذى لا سبيل إلى مخالفته وخرق سبيله .

٥ - رأى أبى الوليد بن رشد الجدة : تحريم الإمامة

قال زعيم الفقهاء القاضى أبو الوليد بن رشد رحمه الله فى أول « كتاب التجارة [١٨٦] إلى أرض الحرب » من مقدماته : فرض الهجرة غير ساقط ، بل الهجرة باقية لازمة إلى يوم القيامة ، واجب^(٣) بإجماع المسلمين على من أسلم بدار الحرب أن لا يقيم بها حيث تجرى عليه أحكام المشركين وأن يهجرها ويلحق بدار المسلمين حيث تجرى عليه أحكامهم . قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « أنا برىء من كل مسلم مقيم مع المشركين » إلا أن هذه الهجرة لا

(١) فى مقابل هذا السطر فى الهامش : الذى إذا نص عليه وأكد بالتكرار فقد ارتفع الاحتمال .

(٢) الأصل : تضائل ، والتصويب من م .

(٣) الأصل : وأجاب . والتصويب من د .

يحرّم على المهاجر بها الرجوع إلى وطنه إن عاد دارَ إيمان وإسلام . كما حرم على المهاجرين من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم [الرجوع] إلى مكة .
للذى^(١) ادخره الله لهم من الفضل في ذلك^(٢) . « .

قال : فإذا وجب بالكتاب والسنة وإجماع الأمة^(٣) على من أسلم الحرب أن يهجره ويلحق بدار المسلمين ، ولا يتوئى بين المشركين ويقيم بين أظهرهم ، لئلا تجرى عليهم أحكامهم ؛ فكيف يباح لأحد الدخول إلى بلادهم حيث تجرى عليه أحكامهم في تجارة أو غيرها ، وقد كره مالك رحمه الله أن يسكن أحد ببلد يُسبّ فيه السلف ، فكيف ببلد يكفر فيه بالرحمن وتعبد فيه من دونه الأوثان ؟ لا تستقر نفس أحد على هذا إلا مسلم مريض بالإيمان انتهى^(٤) .

٦ — مناقشة فقهية حول رأى ابن رشد

فإن قلت : المستفاد من كلام صاحب « المقدمات »^(٥) وغيره من الفقهاء المتقدمين صورة طروء^(٦) الاسلام على الاقامة بين أظهر المشركين والصورة المسئول عنها هي صورة طروء^(٧) الاقامة على أصالة الاسلام وبين الصورتين بون^(٨) بعيد فلا يحسن الاستدلال به على الصورة المسئول الآن عن حكمها^(٨) .

(١) م : التي .

(٢) أضفت كلمة الرجوع بين حاصرتين ، إذ أن السياك يقتضيها ، والمروف أن عودة المهاجرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة بعد فتحها لم تحرم .

(٣) م : الأئمة .

(٤) لفظ « انتهى » وازد في الأصل ، ساقط في م .

(٥) المراد أبو الوليد بن رشد الجدي .

(٦) في الأصل : طروء ، وكذا في جميع الحالات التالية التي ورد فيها هذا اللفظ .

(٧) في الأصل : بون والتصويب من م .

(٨) الأصل : عنها الآن عن حكمها ، والتصويب من م .

قلتُ : تَفَقُّهُ المتقدمين إنما كان في تارك^(١) الهجرة مطلقاً ، ومثلوا ذلك بصورة من صُوْرِهِ ، وهو من أسلم في دار الحرب وأقام ، وهذه المسئول عنها أيضاً صورة ثانية من صورهِ لا تخالف الأولى المتمثل بها إلا في طرُوه الإقامة خاصة ، فالصورة الأولى المتمثل بها عندهم طَرّاً الاسلام فيها على الإقامة ، والصورة الثانية الملحقة بها المسئول عنها طرأت الإقامة فيها على الاسلام ، واختلاف الطرُوه فرق صوري ، وهو غير معتبر في استدعاء [٨٦ ب] نص قصر الحكم عليه^(٢) وانتهائه إليه ، وإنما خص من تقدم من أئمة الهدى المقتدى بهم الكلام بصورة من أسلم ولم يهاجر لأن هذه الموالاة الشركية كانت مفقودة في صدر الاسلام وعمرته^(٣) ولم تحدث على ما قيل إلا بعد مضي مئتين من السنين وبعد انقراض أئمة الأمصار المجتهدين ، فلذلك لا شك لم يتعرض لأحكامها الفقهية أحد منهم ، ثم لما نبغت هذه الموالاة النصرانية في المسألة الخالصة وما بعدها من تاريخ الهجرة ، وقت استيلاء ملاعين النصارى دسرم الله على جزيرة صقلية وبعض كور الأندلس^(٤) . سئل عنها بعض الفقهاء واستفهموا عن الأحكام الفقهية المتعلقة

(١) كذا في الأصلين ، والأصوب هنا : ترك .

(٢) الأصل : انتهائه ، والتصويب من م .

(٣) م : عمرته .

(٤) هذه الملاحظة غير صحيحة ، انظر ص ١٣٤ من التمهيد ، وانظر مثلاً ما يقوله ابن الأثير في حوادث سنة ٣٥٨ : « وفي هذه السنة دخل ملك الروم (تقفور فوكاس) الشام ولم يمنعه أحد ولا فاتاه ، فسار في البلاد إلى طرابلس وأحرق بلدها ، وحصر قلعة عرقه فلنكها ونهبها وسبي من فيها ، وكان صاحب طرابلس قد أخرجه أهلها لشدة ظلمه ، فقصده عرقه ، فأخذته الروم وجميع ماله وكان كثيراً . وقصد ملك الروم حمص ، وكان أهلها انتقلوا عنها ، وأخلوها فأحرقها ملك الروم ، ورجع إلى بلدان الساحل ، فأقى عليها نهياً وتخريباً ، وملك ثمانية عشر منبراً ، وأما القرى فكثير لا يحصى ، وأقام في الشام شهرين ، يقصد أي موضع شاء ، ويغرب ما شاء ولا يمنعه أحد ، إلا أن بعض العرب كانوا يغيرون على أطرافهم . فأتاه جماعة منهم وتحصروا وكادوا المسلمين من العرب وغيرهم ، فامتعت العرب من قسدم ، وصار للروم هبة عظيمة في قلوب المسلمين... » (الكامل ، طبعة المطبعة النثرية ، القاهرة ١٣٥٣) ج ٧ ص ٣٤ وانظر أيضاً ما يليها .

ولا يجوز القول إن هذا كان بعد انقراض أئمة الأمصار المجتهدين ، فقد عاصر هذه الأحداث ، فر من أعلامهم ، ويكفي أن تذكر عن عاش خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري من أئمة =

بمتركبها فأجاب : بأن أحكامهم جارية مع^(١) أحكام من أسلم ولم يهاجر والحقوا هؤلاء^(٢) المسئول عنهم والمسكوت عن حكمهم بهم ، وسوا بين الطائفتين في الأحكام الفقهية والمتعلقة بأموالهم وأولادهم ، ولم يروا فيها فرقا بين الفريقين ، وذلك لأنها في موالاة الأعداء ومساكتهم ومدخلتهم وملابستهم وعدم مباينتهم وترك الهجرة الواجبة عليهم والفرار منهم وسائر الأسباب الموجبة لهذه الأحكام المسكوت عنها في الصورة المسئول عن فرضها بمثابة واحدة . فالحقوا رضى الله عنهم الأحكام المسكوت عنها في هؤلاء المسكوت عنهم بالأحكام المتفق^(٣) فيها في أولئك . فصار اجتهاد المتأخرين في هذا مجرد إلحاق المسكوت^(٤) عنه بمنطوق به مساو^(٥) له في المعنى من كل وجه ، وهو منهم ، رضى الله عنهم ، عدل من النظر واحتياط في الاجتهاد ، وركون إلى الوقوف مع من تقدم من أئمة الهدى المقتدى بهم ، فكان غاية في الحسن والزيين .

= المالكية فقط أبا بكر محمد بن عبد الله الأبهري صاحب كتابي «الأصول» و«اجماع أهل المدينة» توفى نحو سنة ٣٧٥ وابن مجاهد الطائفي البغدادي صاحب الأشعري وصاحب الرسالة المروفة في الاعتقادات على مذهب أهل السنة و«هداية المنبصر» و«عدة المنبصر» وأبا بكر البافلاني «شيخ السنة ولسان الأمة وإمام الأئمة» (توفى سنة ٤٠٣) وأبا القاسم عبد الرحمن بن عبد الله العافق المصري صاحب كتاب «مسند الموطأ» (توفى ٣٨١ أو ٣٨٥) وأبا إسحاق أحمد بن إبراهيم السبأى من أعلام فقهاء إفريقية (توفى ٣٥٦) ومحمد بن الحارث بن أسد الحشبي القيرواني (توفى في قرطبة ٣٦١) وأبا محمد بن إسحاق المعروف بامير التيان من أئمة علماء إفريقية (توفى ٣١١) وأبا الحسن القابسي (توفى ٤٠٣) وغيرهم كثيرون . أما في الأندلس فقد كان هذا القرن من أزهر عصور الفقه فقد عاش فيه أبو بكر ابن القوطية (توفى ٣٦٧) وابن أبي دليم (توفى ٣٧٢) وأبو محمد بن عبد البر (توفى ٣٨٠) وأبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصبلي (توفى ٣٩٢) وابن أبي زيمين (توفى ٣٩٩) وابن الهندي (توفى ٣٩٩) وابن الفرضي ، (توفى ٤٠٣) وغيرهم كثيرون ، ومع ذلك لم يتعرض أحد منهم للموضوع . انظر التمهيد الذي قدمناه بين يدي النص .

(١) م : على .

(٢) في الهامش في مقابلة هذا السطر : استولى النصارى على جزيرة صقلية في المائة الخامسة .

(٣) م : المتفق .

(٤) م : المسكوت .

(٥) الأصل : مساواة . والتصويب من م .

وأما الاحتجاج على تحريم هذه الإقامة من السنة فبما^(١) خرَّجه الترمذى أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية إلى خثعم ، فاعتصم ناس بالسجود فأسرع فيهم القتل ، وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم [١٨٧] فأمر لهم بنصف العقل وقال : « أنا برىء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين » ، قالوا : يا رسول الله ، ولم ؟ قال : « لا تترأى نارهما^(٢) » . وفي الباب أن النبي صلى الله عليه وسلم [قال] : « لا تساكنتوا المشركين ولا تجامعوم ، فمن ساكهم أو جامعهم فهو منهم » والتنصيص في هذين الحديثين على المقصود^(٣) بحيث لا يخفى على أحد ممن له نظر سليم وترجيح مستقيم ، وقد ثبتنا^(٤) في الحسان من المصنفات الستة التي تدور عليها رحى الاسلام . قالوا ولا معارض لهما ، لا ناسخ ولا مخصَّص ولا غيرهما ومقتضاها^(٥) لا يخالف لهما من المسلمين ، وذلك كاف في الاحتجاج بهما ، هذا مع اعتضاها بنصوص الكتاب وقواعد الشرع وشهادتها لهما .

(١) الأصل : بما وفي م : فا .

(٢) اسلمت خثعم عام الوفود أى سنة تسع هجرية ، فلا بد أن ذلك الحادث وقع قبل تلك السنة ، ولا ذكر له عنه ابن هشام أو غيره من مؤرخى السيرة . ولكن ابن هشام روى بيتين قالهما رجل من الأزد بعد إسلامها ، وكانت خثعم تصيب من الأزد في الجاهلية :

يا غزوة ما غزونا غير خائبة	فيها البغال وفيها الخيل والحمر
حتى أتينا حبراً في مصانها	وجمع خثعم قد شاعت له الذر
إذا وضعت غليلا كنت أحمله	فا أبالي أدانوا بعد أم كفروا

(سيرة ابن هشام ، طبعة السقا والايارى وشلبى (القاهرة ١٩٣٦) ٤/٢٣١ - ٢٣٥) . وقد يكون هذا إشارة إلى ما يذكره المؤلف . ولم يشر السهيلي إلى ذلك في شرحه للسيرة ، انظر : الروض الآف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام ، القاهرة ١٩١٤ ، على نفقة مولاي عبد الحفيظ) ٢/٣٤٦ ، ويلاحظ أن السهيلي نفسه خثعمى ، وكان أولى به أن يشير إلى ذلك .

(٣) يريد أن الحديثين يزمان على المقصود نصاً صريحاً .

(٤) أى الحديثان .

(٥) أى ما يحمل معنى النسخ والتنصيص .

وفي سنن أبي داوود من حديث معاوية قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع النبوة ، ولا تنقطع النبوة حتى تطلع الشمس من مغربها^(١) . وفيه من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإن استنفرتم فأنفروا » .

٨ - رأى أبو سليمان الخطابي : الأمر في الهجرة إلى الذب والاستعاب

قال أبو سليمان الخطابي : كانت الهجرة في أول الإسلام مندوباً إليها غير مفروضة ، وذلك قوله سبحانه : « ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراعماً كثيراً وسعة » نزل حين اشتد أذى المشركين على المسلمين بمكة . ثم وجبت الهجرة على المسلمين عند خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وأمروا بالانتقال إلى حضرته ليكونوا معه ، فيتعاونوا وينظفهموا إن حَزَبَهُمْ أمر وليتعلموا أمر دينهم ، وليتفقوا فيه ، وكان عِظَمُ^(٢) الخوف في ذلك الزمان من قريش وهم أهل مكة . فلما فتحت مكة وَبَحَّتْ بالطاعة زال^(٣) ذلك المعنى وارتفع وجوب الهجرة ، وعاد الأمر فيها إلى الذب والاستعاب . فما هجرتان ، فالمنقطعة منها هي القرض والباقية^(٤) هي الذب ، فهذا وجه [٨٧ ب] الجمع بين الحديثين . على أن بين الاستادين ما بينهما : استناد حديث ابن عباس متصل صحيح ، واستناد [حديث] معاوية فيه مقال انتهى^(٥) .

(١) في الماش : حديث لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع النبوة .

(٢) يريد : مظم الخوف .

(٣) في الأصل إلى والتصويب من م .

(٤) م : والثانية .

(٥) لفظ انتهى ورد في الأصل ، ولم يرد في م .

(١) في سنن أبي داوود ، الحديث : « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع النبوة ، ولا تنقطع النبوة حتى تطلع الشمس من مغربها » .

(٢) في سنن أبي داوود ، الحديث : « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع النبوة ، ولا تنقطع النبوة حتى تطلع الشمس من مغربها » .

(٣) في سنن أبي داوود ، الحديث : « لا تنقطع الهجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإن استنفرتم فأنفروا » .

(٤) في سنن أبي داوود ، الحديث : « لا تنقطع الهجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإن استنفرتم فأنفروا » .

(٥) في سنن أبي داوود ، الحديث : « لا تنقطع الهجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإن استنفرتم فأنفروا » .

٩ - قصر رأى أبو سليمان المطاير

قلت هاتان الهجرتان اللتان تضمنهما حديث معاوية وحديث ابن عباس هما الهجرتان اللتان انقطع فرضهما بفتح مكة ، فالهجرة الأولى الهجرة^(١) من الخوف على الدين والنفس كهجرة النبي صلى الله عليه^(٢) وسلم وأصحابه المكين ، فإنها كانت عليهم فريضة لا يجزى إيمان دونها ، والثانية هي^(٣) الهجرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم في داره التي استقر فيها ، فقد بايع^(٤) من قصده على الهجرة وبايع آخرين على الاسلام .

١٠ - رأى أبو بكر بن العربي : من بق عصى ويختلف في حاله

وأما الهجرة من أرض الكفر فهي فريضة إلى يوم القيامة . قال ابن العربي في « الأحكام » : الذهب في الأرض ينقسم إلى ستة أقسام :

الأول : الهجرة ، وهي الخروج من دار الحرب إلى دار الاسلام ، وكانت فرضاً في أيام النبي عليه السلام . وهذه الهجرة باقية مفروضة إلى يوم القيامة . والتي انقطعت بالفتح هي القصد إلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان ، فإن بقي في دار الحرب عصى ، ويختلف في حاله . وانظر بقية أقسام الهجرة فيها .

وقال في العارضة : إن الله حرم أولاً على المسلمين أن يقيموا بين أظهر المشركين بمكة وافترض عليهم أن يلحقوا بالنبي بالمدينة ، فلما فتح الله مكة سقطت الهجرة وبقي تحريم المقام بين أظهر المشركين . وهؤلاء الذين اعتصموا بالسجود ، ولم يكونوا أسلموا وأقاموا مع المشركين إنما كان اعتصامهم في الحال . نعم إنه لا يحل قتل من بادر إلى الاسلام إذا رأى السيف على رأسه

(١) لفظ « الهجرة » ساقط في الأصل ووارد في م .

(٢) الأصل : عليه السلام ، والتصويب من م .

(٣) لفظ « هي » ساقط في الأصل ، ووارد في م .

(٤) الأصل : بايع ، والتصويب من م .

بإجماع من الأئمة^(١)، ولكن قتلوا لأحد معينين : إما لأن الرسول لا يعصم ، وإنما يعصم الإيمان بالشهادتين لفظاً ، وإما لأن الذين قتلهم لم يكونوا يعلمون أن ذلك يعصمهم ، وهذا هو الصحيح فإن بنى جذيمة لما أسرع خالد فيهم القتل قالوا : « صبأنا ، صبأنا » ، ولم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ، فقتلهم ، فوداهم النبي صلى الله عليه وسلم بخطأ خالد . وخطأ^(٢) الامام وعامله [١٨٨] في بيت المال .

١١ — مسألة فرعية : النطق بالشهادتين شرط الإسلام ؟

قال : وهذا يدل على أنه ليس بشرط الاسلام قول « لا إله إلا الله محمد رسول الله » على التعيين^(٣) ، وإنما وداهم نصف العقل على معنى الصلح والمصلحة ، كما ودى أهل جذيمة بمثل ذلك على ما اقتضته حال كل واحد في قوله .

١٢ — حكم دم القيم بدار الحرب وماله . هل العاصم الإسلام أم الدار ؟ رأى مالك بن أنس

وقد اختلف الناس فيمن أسلم وبقى بدار الحرب فقتل أو أسر أو سبي^(٤) أهله وماله ، فقال مالك^(٥) : حَقَّنْ دمه ، وماله لمن أخذه حتى يحوز به بدار الاسلام . وقيل عنه : إنه يحوز ماله وأهله ، وبه قال الشافعي . والمسألة محققة في مسائل الخلاف ، مبنية على أن الحربى هل يملك ملكاً صحيحاً أم لا ؟ وأن العاصم هل هو الاسلام أو الدار ؟ فمن ذهب إلى أنه يملك ملكاً صحيحاً تمسك بقوله عليه السلام : « هل ترك لنا عقيل من دار » وبقوله صلى الله عليه

(١) الأصل : الأئمة ، والتصويب من م . هامش : لا يحل قتل من أسلم عند رؤية السيف إجماعاً .

(٢) الأصل « لخطأ » ، والتصويب من م .

(٣) هامش : ليس بشرط الاسلام قول لا إله إلا الله .

(٤) م : فقتل وسبي .

(٥) هامش : اختلف فيمن أسلم وبقى بدار الحرب فسي ماله .

وسلم : « أمِرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » فسوى بين الدماء والأموال ، وأضافها إليهم ، والاضافة تقتضى التمليك ، ثم أخبر عن أسلم منهم أنه معصوم ، وذلك يقتضى الا يكون لأحد عليه سبيل ، وتمسك أيضاً من أتبعه ماله بقوله صلى الله عليه وسلم : « من أسلم على شيء فهو له » ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه » . وأما (١) مالك وأبو حنيفة ومن قال بقولهما فعندهم أن العاصم إنما هو الدار ، فما لم يحز المسلم ماله وولده بدار الاسلام ، وإلا فما أصيب من ذلك بدار الكفر فهو فيء للمسلمين . وكان الكفار عندهم لا يملكون ، بل أموالهم وأولادهم حلال لمن يقدر (٢) عليها من المسلمين كدمائهم ، فمن أسلم منهم ولم يحز مالا ولا ولداً بدار الاسلام فكأنه لا مال له ولا ولد ، وكان اليد للكفار ، كما أن الدار لهم ، وليست يد صاحبه الاسلامي بدأ إذ كان بين أظهرهم .

١٣ - رأى أبو بكر بن العربي : العاصم لدم المسلم الاسلام
وللدار ورأى الشافعي : العاصم لهما جميعاً الاسلام

وقال ابن العربي أيضاً : العاصم لدم المسلم الإسلام [٨٨ ب] ولما له الدار . وقال الشافعي : العاصم لهما جميعاً هو الإسلام . وقال أبو حنيفة : العاصم المقوم (٣) لهما هو الدار والمؤمن هو الإسلام . وتفسير ذلك أن من أسلم ولم يهاجر حتى قتل فإنه تجب فيه الكفارة عنده دون الدية والقود ، ولو هاجر لوجب الكفارة والدية على عاقلته ، قيل : فعلى هذا دمه محقون عند مالك والشافعي وقتله خطأ لا دية فيه عند أبي حنيفة ، وإنما فيه الكفارة خاصة ، وهو الظاهر من

(١) هامش : لا ملك للكفار فأموالهم حلال .

(٢) م : يفدون ، وربما كانت يفزون .

(٣) م : المقدم .

قول المفسرين . واحتجوا فى ذلك بقوله تعالى : « والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا^(١) » بقوله تعالى : « فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحير رقية مؤمنة^(٢) » ولم يذكر دية . قالوا : والمراد بهذا المؤمن إنما هو المسلم الذى لم يهاجر لأنه مؤمن فى قوم أعداء فهو منهم لقوله تعالى : « ومن يتولهم منكم فإنه منهم » ، فهو مؤمن من قوم عدو . فلما ذكر الدية فى أول الآية فى المؤمن المطلق ، وفى آخرها فى المؤمن الذى قومه تحت عهدنا وميثاقنا وهم الذميون وسكت عنها فى هذا المؤمن الذى بين الأعداء دل على سقوطها ، وأنه إنما أوجب فيه الكفارة خاصة ، هذا حكم دمه . قال ابن العرى : وهذه المسألة خراسانية عظمًا لم تبلغها المالكية ولا عرفتها الأئمة العراقية ، فكيف بالمقدمة المغربية^(٣) ؟

(١) ترك المؤاب بقية الآية ، لأنها تهدم رأيه من أساسه ، ونس الآية كاملاً : « والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا ، وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر » الاضال ٧٢ وفسرها البيضاوى بقوله : « أى من توليهم فى الميراث ، وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر » أى فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين . انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، طبعة مصطفى حمد ، ج ٢ ، ص ٧٣ - ٧٤

(٢) النساء : ٩٢ . وقد استشهد الونشريشى هنا بالآية الكريمة فى غير موضعه ، واكتفى منها بجزء ، والآية كلها خاصة بالخنايا ، ونصها : « وما كان يؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ، ومن قتل مؤمناً خطأ فتحير رقية مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله ، إلا أن يصدقوا ، فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن ، فتحير رقية مؤمنة ، وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحير رقية مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله ، وكان الله عليماً حكيماً » ، وقد فسّر البيضاوى الفقرة التى استشهد بها الونشريشى بقوله : « فإن كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين أو فى تضاعيفهم ولم يعلم إيمانه ، فعلى قاتله الكفارة دون الدية لأهله ، إذ لا ورائة بينه وبينهم ، ولأنهم محاربون » أسرار التنزيل ١٠٨/٢ ، ومعنى ذلك أن المؤمن الذى يعيش بين الكفار لا يعد كافراً ، بل مؤمناً لا يرث الكفار ، وإنما يقوم المسلم الذى قتله بالكفارة وهذا يخالف تماماً رأى الونشريشى .

(٣) هذه الملاحظة من أبى عبد الله محمد بن العرى عظيمة الدلالة ، فقد كان الرجل ضيقاً بتقليد مالكية الأندلس والمغرب ، منكراً عليها ضيق الأفق والاعتصار على كتب الفروع ، وخصوصاً فى أيامه (٤٦٨ / ١٠٧٦ - ٥٤٣ / ١١٤٨) ، والمعروف أنه كان من القليلين الذين أدخلوا شيئاً من فقه الحنفية =

١٤ - رأى أصحاب أبي حنيفة : الدار لا
تصم . الوثعري ينفذ هذا الرأي

احتج أصحاب أبي حنيفة على أن العاصم الدار بأن ^(١) التحرز والاعتصام
والامتناع إنما يكون بالحصون والقلاع ، وأن الكافر إذا صار في دارنا عصم دمه
وماله ، فصار كالمال إذا كان مطروحاً على الطريق لم يلزم فيه قطع ، وإذا
حوز ^(٢) بمجوزة كان مضموناً بالقطع . واحتج الشافعي بقول النبي صلى الله
عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس . . . » الحديث ، فنص على أن العصمة
لنفس والمال إنما تكون بكلمة الإسلام ، ولو أن مسلماً دخل إلى دار الحرب
[١٨٩] فإنه معصوم الدم والمال ، والدار معدومة ، وأما قول أصحابنا إن
الإسلام عاصم للنفس دون الولد والمال ، وقول أصحاب أبي حنيفة إن التحرز
والتصم يكون بالقلاع فكلام فاسد ، لأنه تعلق بالعصمة الحسية التي يكتسبها
الكافر والمحارب ولا يعتبرها الشرع ، وإنما الكلام على ما يعتبره ^(٣) الشرع .
ألا ترى أن المحارب من المسلمين والكافر يتحصنان بالقلاع ودمهما وأمواهما
مباحان أحدهما على الاطلاق ، والثاني يشترط أن يستمر ولا يقلع ويتأدى
ويتمنع ^(٤) ولكن المال إنما يمنعه إحراز صاحبه له بكونه معه في حرز ^(٥) .

= والأشعرية على مالكية الأندلس والمغرب المنشورة ، وقد ذكر ابن خلدون أن أهل المغرب لم يعرفوا
قته الحنفية إلا على يد أبي الوليد الباجي وأبي بكر بن العربي . وهو هنا يسخر من « المقلدة المالكية »
انظر ترجمة أبي بكر بن العربي عند ابن خلكان ، وفيات ، طبعة محي الدين رقم ٥٩٨ ج ٣
ص ٤٢٣ ، رحلة ابن بشكوال ١١٨١/١ ونفح الطيب للمقرئ (طبعة لايدن) ١٧٧/١ - ٤٨٧ ومقدمة
كتاب « المواسم من القواصم » التي كتبها محي الدين الخطيب ، القاهرة ١٣٧١ وانظر أيضاً :
Goldziher, XXXVIII, p. 672.

- (١) الأصل : لأن ، والتصويب من م .
- (٢) كذا في الأصلين ، والصواب حيز .
- (٣) م : ما يعتبر في الشرع .
- (٤) الأصل : يتمنع ، والتصويب من م .
- (٥) م . حوز .

قلت بقول الشافى قال أشهب وسحنون ، وهو اختيار القاضى أبى بكر بن العرى حسبما تضمنه كلامه الآن ، ويقول مالك قال أبو حنيفة وأصنع بن الفرج واختاره ابن رشد ، وهو المشهور عن مالك رحمه الله . ومنشأ الخلاف ما مر تقريره .

١٥ — رأى ابن الحاج : ليس لأحد على مال المسلم المقيم بدار الحرب أو دمه سبيل

وأجرى الفقيه القاضى الشهير أبو عبد الله بن الحاج^(١) وغيره من المتأخرين مال هذا المسلم المستولٍ عنه المقيم بدار الحرب ولم يبرح عنها بعد استيلاء الطاغية عليها — على هذا الخلاف المتقدم بين علماء الأمصار فى مال من أسلم وأقام بدار الحرب ، ثم قرَّق ابن الحاج بعد الإلحاق والتسوية فى هذه^(٢) الأحكام للملحقة بأن مال من أسلم كان مباحاً قبل إسلامه بخلاف مال المسلم ، لأن يده لم تزل ، ولا تقدَّم له فى وقت ما كفر مبيع^(٣) ماله وولده يوماً للمسلمين ، فليس لأحد عليهما من سبيل . وهو راجع من القول وواضح من الاستدلال والنظر ، وظاهر عند التأمل لمنشأ الخلاف الذى تقدم بيانه على ما لا يخفى . ويضد هذا الفرق^(٤) بنص آخرٍ مسئلةٍ من سماع يحيى من كتاب الجهاد ولفظه .

(١) المروفون باسم أبى عبد الله بن الحاج كثيرون ، ولما كانت الإشارة هنا إلى واحد من المتأخرين منهم ، فربما كانت إلى محمد بن محمد بن الحاج أبى الحسن على بن الصباغ ، أبى عبد الله قاضى تلسان المتوفى ٢٦ رمضان ١٥٢٩/٩٣٦ وهو معاصر للونفريسي ، توفى بعده بمصر سنة .

انظر ابن القاضى ، أحمد بن محمد بن أحمد ، درة المجال فى غمرة أسماء الرجال ، طبعة س. علوش ، الرباط ١٩٣٤ رقم ٤٨٤ ج ١ ص ١٥٨

ولكن يفتى على الظن أن المراد هنا محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم بن لب بن ييطبر ، يكنى أبا عبد الله (١٠٦٥/٢٥٨ — ١١٣٤/٥٢٩) .

وقد ترجم له ابن بشكوال فى التكملة رقم ١١٦٢ ج ١ ص ٥٢٢ — ٥٢٣ وهو معاصر لأبى الوليد بن رشد وقرطبي مثله كما قال المؤلف .

(٢) الأصل : هذا ، والتصويب من م .

(٣) م : يبيع .

(٤) كذا ، والأصوب فريق .

١٦ — رأى ابن الحجاج في المسلمين المتخلفين في برشلونه الذين يشتركون مع النصارى في الإغارة على المسلمين

وسأله^(١) عن تخلف من أهل برشلونه من المسلمين عن الارتحال عنها^(٢) بعد السنة التي أجلت لهم يوم فتحت في ارتحالهم^(٣) فأغار [٨٩ ب] على المسلمين تموداً مما يخاف من القتل إن ظفّر به فقال : ما أراه إلا بمنزلة المحارب

(١) الكلام هنا يدل على أنه صادر إلى ابن رشد من محمد بن أحمد بن خلف بن الحجاج معاصره الذي ذكرناه .

(٢) في الأصلين : عنهم ، وصوبناها للسياق .

(٣) هذه الاشارة تحمل مشكلة تاريخية خاصة بتاريخ خروج برشلونه نهائياً من طاعة المسلمين . ذلك أن آخر مهمة استولى فيها المسلمون على برشلونه كانت في صفر ١٧٥ يوليو ٩٨٥ على يد المنصور ابن أبي عامر ، وقد انتصر المنصور على كوند برشلونه بوريل الثاني Borrell II ودخل البلد وخرّب معالمه ، ثم خلف فيه حامية وعاد إلى قرطبة . ولم يطل مقام الحامية في البلد ، إذ وجد رجالها أنفسهم منزلين في هذا الركن القصي ، فعبروا إلى الضفة الأخرى لنهر ابرو وأقاموا ستة أشهر على قول وستين على قول آخر . ثم انصرفوا . وليس لدينا تفاصيل في المراجع العربية عن ذلك . وقد عاد الكوند بوريل إلى عاصمته عقب انتحاب الحامية الإسلامية مباشرة . ولم يعد المسلمون إلى غزو برشلونه مرة ثانية . ولما كانت المراجع النصرانية تقول إن المنصور قد قتل كل من وجده في برشلونه من النصارى ، وهي مبالغة لا شك فيها ، فإن المقول أن الكوند عند ما استعاد بلده أراد إجلاء من فيها من المسلمين وأندرهم إلى عام . وهو لم يفعل ذلك إلا بعد انصراف الحامية ، فإذا كانت قد انصرفت بعد ٦ أشهر فيكون ذلك الأندار في يناير أو فبراير ٩٨٦ والجلاء الأخير في يناير أو فبراير ٩٨٧ ، وإذا كان بعد سنتين من عودة المنصور فيكون إندار المسلمين قد وقع سنة ٩٨٧ وخروجهم سنة ٩٨٨ . أما غزوة عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر لهذه الناحية فلم تعرض لمدينة برشلونه ، وإعسا لنواح أخرى من قطلونية . وإشارة الوتشريشى تدل على أن بعض مسلمي البلد كان يشترك مع النصارى في محاربة إخوانه خلال عام الأجل خوفاً على حياته .

وقد جمع النصوص العربية الخاصة بملاقة المسلمين بكوتونية قطلونية مياس فابكروسا ، انظر :

Millás Vallicrosa, *Els textos d'historiadors musulmans referents a la Catalunya Carolingia*, p. 161

Carberas y Candi, *Relaciones de los vizcondes de Barcelona con los Arabes, en Homenaje a D. Francisco Codera*, Zaragoza 1904, p. 207—209.

Dozy, *Hist. des Musulmans d'Espagne*, II, 239 note 3.

Lévi-Provençal, *Hist. de l'Espagne Musulmane*, II, 237 sqq.

A. Ballestros y Beretta, *Historia de España...*, (Madrid 1944) vol. II, p. 485—487.

وانظر أيضاً البيان المغرب لابن عذارى ، ج ٣ طبعة ليني بروفنسال ، باريس ١٩٣٠ ص ٢١—٢٢

الذى يتلصص بدار الإسلام من المسلمين ، وذلك أنه مقيم على دين الاسلام ، فإن أصيب فأمره إلى الامام يحكم فيه بمثل ما يحكم في أهل الفساد والحراية ، وأما في ماله فلا أراه يحل لأحد أصابه . انتهى محل الحاجة منه ابن رشد قوله (١) : إنهم في غارتهم على المسلمين بمنزلة المحاربين صحيح لا اختلاف فيه لأن المسلم إذا حارب ، فسواء أكانت حرايته (٢) في بلد الاسلام أو في بلد الكفر المحكم فيه سواء ، وأما قوله في ماله أنه لا يحل لأحد أصابه فهو خلاف ظاهر قول مالك في المدونة في الذى يُسَلِّم في دار الحرب ثم يغزو المسلمون تلك الدار فيصيرون أهلها وماله وولده أن ذلك كله فيه . إذ لم يفرق فيها بين أن يكون الجيش غنم ماله وولده قبل خروجه أو بعد خروجه ، انتهى . قلت : فظاهر كلام ابن رشد هذا يؤذن بترجيح خلاف ما رجحه معاصره وبلديته القاضي أبو عبد الله بن الحاج في مال هؤلاء المستول عنهم وأولادهم فتأمل .

١٧ — رأى شيوخ آخرين : لا سبيل على دماء المسلمين المقيمين مع النصارى إلا إذا اشتركوا في عمارية المسلمين ، ولا سبيل على أموالهم إلا إذا أغانوم بها

وقال بعض المحققين من الشيوخ : يظهر أن الأحكام الملحقه بهم في الأنفس والأولاد والأموال جارية على المقيمين مع النصارى الحربيين على حسب ما تقرر من الخلاف وتمهد من الترجيح ، ثم إن حاربونا مع أوليانهم ترجحت حينئذ استباحة دمايتهم ، وإن أغانوم بالمال على قتالنا ترجحت استباحة أموالهم . وقد ترجح (٣) سبى ذراريهم للاستخلاص من أيديهم وإنشأهم (٤) بين أظهر المسلمين آمنين من الفتنة في الدين معصومين من معصية ترك الهجرة .

(١) يريد : [وقد بلغ] محل الحاجة منه ابن رشد [في] قوله...

(٢) الحراية هنا بمعنى التلصص وقطع الطريق .

(٣) م : يرجع .

(٤) م : وإنشأهم .

١٨ — شكوى المهاجرين الى أرض الإسلام من ضيق المعاش زعم فاسد وتوم كاسد . لا رخصة لأحد في الرجوع إلى بلاد النصارى بحال

وما ذكر في السؤال من حصول الندم والتسخط لبعض المهاجرين من دار الحريين^(١) إلى دار المسلمين لما زعموه من ضيق المعاش وعدم الانتعاش زعم فاسد وتوم كاسد في نظر الشريعة الفراء ، فلا يتوم هذا المعنى ويعتبره ويجعله نصب عينيه إلا ضعيف اليقين بل عديم العقل والدين . وكيف يتخيل هذا المعنى يدلى به حجة في إسقاط الهجرة من دار الحرب ؟ وفي بلاد الاسلام ، [١٩٠] أعلى الله كلمته ، مجال رحب للقوى والضعيف والتقييل والخفيف ، وقد وسع الله البلاد فيستجير بها من أصابته هذه الصدمة الكفرانية والصاعقة النصرانية في الدين والأهل والأولاد ؟ فقد هاجر من علية^(٢) الصحابة وأكابرهم ، رضوان الله عليهم ، إلى أرض الحبشة فراراً بدينهم من أذى المشركين من أهل مكة جماعة عظيمة ورققة^(٣) كريمة منهم جعفر بن أبي طالب وأبو سلمة بن عبد الأسد وعثمان بن عفان وأبو عبيدة بن الجراح ، وحال أرض الحبشة ما قد علم^(٤) . وهاجر آخرون إلى غيرها وهجروا أوطانهم وأموالهم وأولادهم وآباءهم ونبذهم وقاتلهم وحاربهم تمسكاً منهم بدينهم ورفضاً لدينامهم ، فكيف بعرض من أعراضها^(٥) لا يخل تركه بالتكسب بين أظهر المسلمين ، ولا يؤثر رفضه في متسع المستزقين ، ولا سيما بهذا^(٦) القطر الديني المغربي ، صانه الله ، وزاده عزاً وشرقاً ، ووقاه من الأغيار والأكدار وَسَطًا وطَرَفًا ، فإنه من أخصب أرض الله

(١) يريد دار الحرب ، وظاهر أن هذا سهو من الناشرين .

(٢) م : جلة .

(٣) فوق هذه الفظة : نسخة : زمرية .

(٤) الذي «علم» من حال الحبشة إذ ذاك أنها كانت بلاداً نصرانية ، وقد هاجر إليها أولئك

المسلمون برأى النبي صل الله عليه وسلم ، وعاشوا هناك آمنين في حماية النجاشي النصراني !

(٥) في هامش م : بفرض من أعراضها .

(٦) الأصل : هذا ، والتصويب من م .

أرضاً وأشبهاً يلاً طولا وعمراً ، وخصوماً حاضرةً فاس وانظراً ونواحيها
من كل الجهات وأنظراًها ؟ ولئن علم هذا اليوم وَعَدِمَ صاحبه والياد بالله العفل
الراجح والرأى التاليج والتهم ، قد أقام علماً ورحاماً على غم الحمية الرنة
بترجيح عرض دنيوى حطلى محقر على عمل دينى أخروى مدخر . وبنت
هذه المفاضلة والأرجحية ، وقلب وخسر من آثرها ووقع فيها . أما عِلْمُ النبون
فى صفةه ، النادم على هجرته من دار يُدعى فيها التلث ، وتضرب فيها التواقيس ،
ويعبد فيها الشيطان ويكفر بالرحمن ، أن ليس للانسان إلا دينه ؟ إذ به نجاته
الأبدية وسعادته الآخروية ، وعليه يذل غم التغيه فضلاً عن جملة ماله ؟
قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تلهم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر
الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ^(١) » وقال تعالى : « إنما أموالكم
وأولادكم فتنه والله عند آجر عظيم ^(٢) » وأعظم قوائد اللال وأجلها عند العقلاء
إنفاقه فى سبيل الله وإيتاء مرضاته . وكيف يتحتم بالتلث [٩٠ ب] ويتراعى
ويتطرح أو يتسارع من أجله إلى موالاته العداة ؟ وقد قال تعالى : « فترى
الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيما يقولون تخشى أن تصينا دائرة ^(٣) »
والدائرة فى هذه التازلة قوائ التمسك ^(٤) بقل اللال ، فوصف بمرض القلب ووصف
اليقين ، ولو كان قوياً اللين صحيح اليقين وانهاً بالله تعالى معتمداً عليه ومسنداً
ظهره إليه لما أهمل قاعدة التوكلى على علو رتبها وتمو ^(٥) ثمرتها وشهادتها ^(٦) بصحة

(١) المنافقون ٩

(٢) التائين ١٥

(٣) المائدة ٥٢

ولو أن المؤلف بيقية الآية الكريمة لكان أوفى بفرضه وأحسن أتراً فى توس من كتب فم هذه
الرسالة : « نفسى الله أن يأتي بالفتح أو يأمر من غمته فيعجزوا على ما أسروا فى أنفسهم ناسين . »

(٤) هاتان الكلمتان سلطانان فى م .

(٥) م : سمو .

(٦) الأصل : شاعتها ، والتصويب من م .

الإيمان أو سلبه للقيمين، وإذ لا يتقرر هذا فلا رخصة لأحد بمعنى تكررت في الرجوع ولأنه على عظم المنفعة بوجه ولا حال، فإنه ^(١) لا يمتد مهياً توصل إلى ذلك بمطقة فادحة أو حيلة دقيقة، بل منها وجد سبيلاً إلى التخلص من ربقة الكفر، وحيث لا يجد عشرة قلب عنه وحماة يحمون عليه ^(٢)، ورَضِيَ بالمقام بمكان فيه الضيق على الدين والمنع من إظهار أشاعر المسلمين، فهو مارق من الدين منخرط في سلك الملحدين، والواجب الفرار من دار غلب عليها أهل الشرك والخسران إلى دار الأمن والإيمان، ولذلك قوبلوا في الجواب عند الاعتذار بقوله: « ألم تكن أرض الله واسعة؟ أي حيث ما توجه المهاجر، وإن كان ضيقاً، فإنه يجد ^(٣) الأرض واسعة ومتصلة. فلا عنده بوجه المستطیع، وإن كان مشقة، في العمل أو في الحيلة أو في اكتساب الرزق أو ضيق في المعيشة، إلا المستضعف العاجز رأساً الذي لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلاً. ومن بادر إلى الفرار وسارع في الانتقال من دار اليأس إلى دار الأبرار فذلك إمارة ظاهرة في الحال العاجلة لما يصير إليه حاله في الآجلة لأن من يُسر له العمل الصالح كان مأمولاً له الظفر والهور، ومن تيسر له العمل الخبيث كان مخوفاً عليه الهلاك والخسران، جعلنا الله ولياًكم ممن يُسر ^(٤) لليسرى وانتفع بالذكرى ..

١٩ — لا بد من إرفاقهم بالقوة الشديدة والتكثير المرح ضرباً وسجناً

وما ذكرت عن هؤلاء المهاجرين من قبيح الكلام، وسب دار الإسلام، وتمنى الرجوع إلى دار الشرك والأصنام، وغير ذلك من الفواحش المنكرة التي

(١) الأصل: وإنه، والتصويب من م .
 (٢) ومع ذلك فقد كانت الهجرة إلى الشواطئ الأفريقية إذ ذاك لا تصم الإنسان عصبة كافية، فقد استولى الصاري على سبته في حياة المؤلف واستولوا على موطنه فلما كان عام وفاته .
 (٣) الأصل: لا يجد، وهو سهر من التأسخ، والتصويب من م .
 (٤) الأصل: يسر، وقد أخذنا بقرائة م، فهي أوفق للسياق .

١٩١ لا تصدر إلا من اللثام ، يوجب لهم خزي الدنيا والآخرة ، وينزلهم أسوأ المنازل ، والواجب على من مكنته الله في الأرض ويسره لليسرى أن يقبض على هؤلاء ، وأن يرهقهم العقوبة الشديدة والتنكيل المبرح ضرباً وسجناً^(١) حتى لا يتمدوا حدود الله ، لأن فتنة هؤلاء أشد ضرراً من فتنة الجوع والخوف ونهب الأنفس والأموال ، وذلك أن من هلك هناك فإلى رحمة الله تعالى وكريم عفوه ، ومن هلك دينه فإلى لعنة الله وعظيم سخطه ، فإن محبة الموالاة الشركية والمساكنة النصرانية والعزم على رفض الهجرة ، والركون إلى الكفار ، والرضى بدفع الجزية إليهم ونبد العزة الاسلامية والطاعة الامامية والبيعة السلطانية ، وظهور السلطان النصراني عليها ، وإذلاله إياها^(٢) ، فواحش عظيمة مهلكة قاصمة للظهور ، يكاد أن تكون كفراً والعياذ بالله .

٢٠ — المقيم والراجع بعد الهجرة والتمنى الرجوع لا يحق لهم تولى القضاء أو الإمامة ولا تقبل شهادتهم

وأما جُرْحَةُ المقيم والراجع بعد الهجرة والتمنى للرجوع وتأخيرهِ عن المراتب الكمالية الدينية من قضاء وشهادة وإمامة فما لا خفاء فيه ولا امتراء ، ممن^(٣) له أدنى مسكة من الفروع الاجتهادية والمسائل الفقهية . وكما لا تقبل شهادتهم كذلك لا يقبل خطاب حكامهم ، قال ابن عرفة^(٤) رحمه الله : وشرط قبول خطاب^(٥) القاضي صحة ولايته لمن تصح توليته^(٦) بوجه احترازاً من مخاطبة قضاة

(١) هذا ما تيسر للمؤلف من الرأي حيال أولئك التعماء ، وكان حرياً به أن يشاركهم الأسى لمصائبهم ، وأن ينصح الحكام بالنظر في مواضع شكواهم ويحفزهم على التخفيف عنهم وتأنيبهم وإشعارهم أنهم أقبلوا على أهل وحلوا بسهل (انظر التمهيد فقرة ج) .

(٢) الأصل : عليها ، وهي تستقيم إذا قرأنا : إيداله عليها ، وقد أخذنا بقرائه م .

(٣) كذا الأصل : وفي م : فن ، والمراد عند من .

(٤) ابن عرفة هو محمد بن محمد بن عرفة الورعني من أئمة علماء تونس خلال القرن الثامن

الهجري (٢١٦ - ١٠١ / ١٣١٦ - ١٣٩٨) انظر درة المجال لابن القاضي رقم ٧٧٥

(٥) الأصل : خلاف ، والتصويب من م .

(٦) أى أن يكون الذى ولاه صاحب حق شرعى فى توليته .

أهل الدجن^(١) كقتضاة مسلمي بلنسية وطرطوشة وقوصرة^(٢) عندنا ، ونحو ذلك ، انتهى .

٢١ — هل تبيل خطابات قضاة أهل الدجن وهل يجوز الرد عليها ؟

وسئل الامام أبو عبد الله المازري^(٣) رحمه الله في زمانه عن أحكام تأتي من صقلية من عند قاضيهما أو شهود^(٤) عدول ، هل يقبل ذلك منهم أم لا ؟ مع أنها ضرورة ، ولا تُدرى إقامتهم هناك تحت أهل الكفر هل هي اضطرار أو اختيار .

٢٢ — رأى المازري : تحمين الظن بالمسلمين . إذا كان قاضي أهل الدجن مضطراً للاقامة بإقامته لا تتدح في ولايته

فأجاب^(٥) : القاصح في هذا وجهان : الأول ، يشتمل على القاضي

(١) أهل الدجن أو المدجنون هم المسلمون الذين دجنوا أي أقاموا تحت حكم النصارى . راجع التمهيد .

(٢) الأصل : بذرته والتصويب من م .

وقوصرة جزيرة صغيرة بين ساحل تونس وجزيرة صقلية على مقربة من نهر نابل وتسمى بالفرنسية Pantelaria ، فتحها المسلمون عند ما فتحوا صقلية وسقطت في أيدي النورمان خلال النصف الأول من القرن العاشر الميلادي . انظر عنها بحث الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في مجلة الجمعية التاريخية المصرية سنة ١٩٥٢ : « جزيرة قوصرة العربية » ولا زال بها قليل جداً من المسلمين . ويفهم من كلام المؤلف أن المسلمين الذين بقوا فيها بعد استيلاء النورمان عليها كانوا أيضاً أهل دجن .

(٣) أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التيمي المعروف بالمازري نسبة إلى مازره Mazzara بصقلية ، ولد بالمهدية أو القيروان في حدود سنة ١٠٥١/٤٤١ تلمذ على أبي الحسن الربيعي المعروف بالخمسي وأبي محمد عبد الحميد بن محمد المعروف بابن الصائغ وغيرها وتوفي في مدينة المهديّة سنة ٥٣٦/١١٤١ ومن مؤلفاته « العلم بهوائه مسلم » (مخطوط) و « المين على التلقين » (مخطوط) و « الكشف والأنباء على الترجمة بالإحياء » وهو قد للأحاديث التي أوردها الغزالي في « إحياء علوم الدين » وغيرها .

انظر عنه : حسن حسني عبد الوهاب : الامام المازري ، تونس ١٩٥٥

(٤) م : وشهود .

(٥) نقر هذه القطعة ، ضمن مقتطفات من كلام المازري الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب ،

في كتابه الآتف الذكر ص ٨٧ ، وقد نقلها عن كتاب « الدكاة » للشيخ عظيم القيرواني ، وهو مخطوط . وقد تصرف ابن عظيم في النص ، وآتى بعض فقراته على معناه ، ولهذا رأينا الاكتفاء بالإشارة إلى مواضع الخلاف الهامة . وسنشير إلى نص كتاب الدكاة بحرف .

وبناته من ناحية العدالة ، فلا يباح المقام في دار الحرب في قياد أهل الكفر ، والثاني من ناحية الولاية إذ القاضي مؤلّى من قبل أهل الكفر . والأول له قاعدة [٩١ ب] يعتمد عليها^(١) في هذه المسئلة^(٢) وشبهها وهي تحمين الظن بالمسلمين ومباعدة المعاصي عنهم ، فلا يعدل عنها لظنون كاذبة وتوهّمات^(٣) واهية كتجويز من ظاهره العدالة ، وقد يجوز في الخفاء وفي نفس الأمر أن يكون ارتكب كبيرة ، إلا من قام الدليل على عصمته ، وهذا التجويز مطرّح والحكم للظاهر إذ هو الراجح ، إلا أن يظهر من الخبايا ما يوجب الخروج عن العدالة فيجب التوقف حينئذ حتى يظهر ما يوجب زوال موجب راجحية العدالة ، ويبقى الحكم الظاهر لغلبة الظن بعد ذلك . والحكم هو استفاد من قرآن محصورة ، فيعمل عليها ، وقرائن العدالة مأخوذة من أمر مطلق سابق متلقى . وقد أملت في هذا طرفاً في « شرح البرهان^(٤) » ، وذكرت طريقة أبي المعالي وطريقتي لما تكلمنا فيما جرى بين الصحابة من الوقائع والفتن رضى الله عنهم أجمعين^(٥) .

(١) د : يعتمد عليها شرعاً .

(٢) هامش : ينبغي تحمين الظن بالمسلمين .

(٣) الأصل : توهمة ، والتصويب من م . وهذه العبارة ساقطة في .

(٤) المراد كتاب « إيضاح المحصول من برهان الأصول » المازرى ، قال عنه الأستاذ ح . ح .

عبد الوهاب : « وهو شرح متمم في أجزاء عديدة على « برهان » إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني الشافعي المتوفى سنة ٤٣٨ هـ في أصول الديانة وهو أقدم ما صنف في علم الأصول ، وأقدم ما شرح به هو تأليف المازرى هذا ، ومنه أجزاء متفرقة في تونس وغيرها » (انظر ، الامام المازرى ، س ٦٢) . والبرهان هو البرهان في أصول الفقه لأبي المعالي عبد الملك الجويني شيخ الحرمين وإمام الأشعرية . وقول المازرى هنا « لما تكلمنا » يفهم منه أنه تناقش في موضوع ما وقع بين الصحابة مع أبي المعالي ، وإلا لقال : « لما تكلمت » كما قال قبل ذلك « وذكرت » ، ولكن الذين ترجموا المازرى لم يذكروا له رحلة إلى المشرق ، ويستبعد على أى حال أن يكون قد لقي الجويني ، فقد ولد الجويني ٤١٩ / ١٠٥٨ وتوفى ٤٧٨ / ١٠٨٥ وقد أقام في الحجاز من ٤٥٠ / ١٠٥٨ إلى ٤٦٢ / ١٠٦٢ ، انظر ترجمة الجويني عند ابن خلدان ، رقم ٣٥١ وطبقات الشافعية ٧٠ / ٢ - ٧١ و ٢٤٩ / ٣ - ٢٤٩ / ٣ و بروكلمان ٣٨٨ / ١

(٥) هذه العبارة كلها ، من أول « وقد أملت » غير واردة في د ولو بالمعنى .

وهذا التقييم يبيلد الحرب إن كانت اضطراراً فلا شك أنه لا يقدرح في عدالته^(١) ، وكذا إن كان [متأولاً و]^(٢) تأويله صحيحاً مثل إقامته يبيلد أهل الحرب لرجاء هداية أهل الحرب أو نقلهم عن ضلالة^(٣) ما ، وأشار إليه الباقلاني وكما أشار أصحاب مالك في جواز الدخول لفكالك الأسير^(٤) . وأما لو أقام بحكم الجاهلية^(٥) والاعراض عن التأويل اختياراً فهذا يقدرح في عدالته . واختلف المذهب في رد شهادة الداخل اختياراً لتجارة^(٦) واختلف في تأويل المدونة فيها أشد [اختلاف] ، فمن ظهرت عدالته منهم وشك في إقامته على أى وجه فالأصل عذره ، لأن جل الاحتمالات السابقة تشهد لعذره فلا ترد لاحتمال واحد ، إلا أن تكون قرابين تشهد أن إقامته كانت اختياراً لا لوجه .

٢٣ — تولية الكافر للقضاة والامناء واجب عقلاً ، ولا يقدرح في احكامهم

وأما الوجه الثاني وهو تولية الكافر للقضاة والامناء^(٧) وغيرهم للحجز^(٨) الناس بعضهم عن بعض فواجب ، حتى ادعى بعض أهل المذهب^(٩) أنه واجب

(١) بعد لفظ « عدالته » أسقط الأعلان عبارة هامة وردت في دومي : « وكذا إن كان اختياراً ، جاهلاً بالحكم أو معتقداً للجواز . إذ لا يجب عليه أن يعلم هذا الطرف من العلم وجوباً يقدرح تركه في عدالته » .

(٢) أضفت هذه العبارة من د إذ لا يستقيم السياق بدونها .

(٣) وردت هذه العبارة في د بصورة أوفى : وكذا إن كان متأولاً وتأويله صحيحاً ، كإقامته بدار الحرب لرجاء افتكاكها وإرجاعها للإسلام أو لهدايته أهل الكفر . . . »

(٤) بعد لفظ « الأسير » أسقط الأعلان عبارة هامة وردت في دومي : « ولذا إن كان تأويله خطأ ، ووجوهه لا تتحصر ، كما أن الشبه عند الأصوليين لا تتحصر ، وربما كان خطأ عند عالم وصواباً عند آخر ، على القول بأن المصيب واحداً بالآخر معذور » .

(٥) كذا في الأصلين : الجاهلية ، وفي د « الجهالة » وهو أصح .

(٦) م : للتجارة .

(٧) د : للقضاة والمدول والامناء .

(٨) د : فحجز الناس بعضهم عن بعض واجب .

(٩) د : المذاهب .

عقلا وإن كان باطلا تولية الكافر لهذا القاضي إما بطلب الرعية له وإقامته [إياه] لهم للضرورة لذلك ، فلا يقدر في حكمه وتنفيذ أحكامه ، كما لو كان ولاء سلطان مسلم . وفي كتاب [١٩٢] « الإيمان » في « مسألة الحالف ليقضينك حثك إلى أجل »^(١) أقام شيوخ المكان مقام السلطان عند تقديمه لما يُخاف من فوات القضية^(٢) .

٢٤ — هل يجوز للخارج على الإمام تولية القضاء ؟
مطرف وابن الماجشون يريان أن ذلك يجوز

وعن مطرف وابن الماجشون فيمن خرج على الإمام وغلب على بلد فولى قاضياً عدلاً فأحكامه نافذة ، انتهى .

٢٥ — رأى شيوخ الأندلس : لا يجوز

قلت : وأفتى شيوخ الأندلس فيمن كان في ولاية التاجر المارق عمر بن حفصون أنه لا تجوز شهادتهم ولا قبول خطاب قضائهم .

٢٦ — هل تقبل ولاية القضاء من الأمير غير العدل ؟ رأى مالك : لا تقبل

واختلف في قبول ولاية القضاء من الأمير غير العدل ، ففي « رياض النفوس » ، في طبقات علماء إفريقية لأبي محمد عبد الله المالكي ، قال سحنون :

(١) كتاب الإيمان هو أحد كتب مدونة سحنون ، وما كتابان « كتاب النذور الأول ، كتاب النذور الثاني » وقد وردت هذه المسألة في « كتاب النذور الثاني » وعنوانها : الرجل يحلف ليقضين فلاناً حقه إلى أجل ، فيموت المحلوف له أو المسالف قبل الأجل أو يغيب « انظر : « المدونة الكبرى لإمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس الأصبحي » رواية الإمام سحنون بن سعيد التتوخى عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم العتيق ، طبعة الساسي ، القاهرة ١٣٢٣ ، ج ٣ ص ١٤٦ - ١٤٩ .
ويبدو لنا أن العبارة تكون أصوب لو قلنا : قام شيوخ المذهب . . .

(٢) تلي ذلك فقرة هامة من فتوى المازري ، اسقطها الوتشريني ، ووردت في د : « فتولية الكافر لهذا القاضي العدل ، إما للضرورة إلى ذلك أو لطلب من الرعية لا يقدر في حكمه وتنفيذ أحكامه ، كما لو ولاء سلطان مسلم ، والله الهادي لسواء السبيل .

اختلف أبو محمد عبد الله بن فروخ وابن غانم فاضى إفريقية ، وهما من رواة مالك رضى الله عنه ، فقال ابن فروخ : لا ينبغي لقاض إذا ولاه أمير غير عدل أن يلى القضاء ، وقال ابن غانم : يجوز أن يلى وإن كان الأمير غير عدل . فكتبَ بها إلى مالك ، فقال مالك : أصاب الفارسى — يعنى ابن فروخ — وأخطأ الذى يزعم أنه عربى ، يعنى ابن غانم^(١) انتهى .

٢٧ — رأى ابن عرفة : يجوز

وقال ابن عرفة : لم يجعلوا قبوله الولاية للمتلب الخالف للامام جرحه ، لخوف تعطيل الأحكام ، انتهى .

٢٨ — المقيم بأرض النصارى مرتكب لمعصية كبيرة ، وهو معاقب بالعذاب الشديد إلا أنه غير مخلد فى النار

هذا ما يتعلق بهم من الأحكام الدنياوية ، وأما الأخرؤية المتعلقة بمن قطع عمره وأفتى شبيه وشبابه فى مساكنهم وتوليتهم ، ولم يهاجر ، أو هاجر ثم راجع وطن الكفر . وأصر على ارتكاب هذه المعصية الكبيرة إلى حين وفاته والعياذ بالله ، فالذى عليه أهل السنة وجمهور الأئمة^(٢) أنهم معاقبون بالعذاب الشديد إلا أنهم غير مخلدين فى العذاب بناء على مذهبهم الحق فى انقطاع عذاب أهل الكتاب وتحليصهم بشفاعتة سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم المصطفى المختار ، وحسبما وردت به صحاح الأخبار ، والدليل على ذلك قوله عن وجل^(٣) : « إن الله لا يفرغ أن يشرك به ويفرغ ما دون ذلك لمن يشاء^(٤) »

(١) انظر الخبر فى رياض النفوس للمالكى ، ج ١ (القاخرة ١٩٥١) ص ١١٤—١١٥

(٢) م : العلماء .

(٣) زيادة من م .

(٤) النساء ٤٨

وقوله : « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم [٩٢ ب] لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ^(١) » وقوله : « وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ^(٢) » إلا أن قوله تعالى « ومن يتولهم منكم فإنه منهم » وقوله عليه السلام : « أنا برىء من كل مسلم يقم بين أظهر المشركين » وقوله عليه السلام : « فن ساكنهم أو جامعهم فهو منهم » شديد جداً عليهم .

٢٩ — حكم السلم الذى يزدرى دار الاسلام ويفضل عليها
بلاد النصرانية : الحزى فى العاجلة والآجلة ،
إلا أن ذنبه أقل من ذنب التارك للهجرة

وما ذكرتم عن سخييف العقل والدين من قوله : « إلى ها هنا يهاجر ؟ » فى قالب الازدراء والتهمك ، وقول السفيه الآخر « إن جاز صاحب قسالة إلى هذه النواحي نسير ^(٣) إليه » إلى آخر ^(٤) كلامه البشيع ولفظه الشنيع ، لا يخفى على سيادتكم ما فى كلام كل واحد منها من السجاجة فى التعبير ، كما لا يخفى ما على كل منهما فى ذلك من الهجنة وسوء التكبير ، إذ لا يتفوه بذلك ولا يستبيحه إلا من سَفَّه نفسه ، وفَقَدَ — والعياذ بالله — حَسَّه ، ورام رفع ما صح نقله ومعناه ، ولم يخالف فى تحريمه أحد فى جميع معمر الأراض الإسلامية من مطلع الشمس إلى مغربها لأغراض فاسدة فى نظر الشرع لا رأس لها ولا ذنب ، فلا تصدر هذه الأغراض ^(٥) الهوسية إلا من قلب استحوذ عليه الشيطان فأنساه

(١) الزمر ٥٣ . وقد انتهت صفحة ١٩٢ عند لفظ « أنفسهم » من الآية الكريمة ، فأخرت وضما إلى نهايتها حتى لا أقطع سياقها .

(٢) الرعد ٦ . ولم يأت المؤلف بأول الآية على جمال موقعه وأهميته فى هذا المقام : « ويستعجلونك باليئمة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلثات » .

(٣) الأصل : فيسير ، والتصويب من م .

(٤) الأصل : الخ ، وقد أثبت بها مفصلة ليستقيم السياق .

(٥) م : لا تظهر هذه الأغراض .

حلاوة الايمان ومكانته من الارطاب^(١) . ومن ارتكب في هذا وتورط فيه فقد استعجل لنفسه الخيئة الخزي المضمون في العاجل والآجل ، إلا أنه لا يساوى في العصيان والانم والعدوان والمقت والسماجة والابعاد والاستنقاص واستحقاق الأئمة والمذمة الكبرى التارك للهجرة بالكلية ، بموالاته الأعداء والسكنى بين أظهر البعداء ، لأن غاية ما صدر من هذين الخيئين عزم ، وهو التصميم وتوطين النفس على الفعل ، وهما لم يفعلوا .

٣٠ — هل يؤخذ على العزم على العصية دون اتيانها ؟
رأى المازرى : لا يؤخذ . رأى الباقلانى : يؤخذ

وقد اختلف أئمتنا الأشاعرة في المؤاخذة به^(٢) ، فنقل الامام أبو عبد الله المازرى رحمه الله عن كثير أنه غير مؤاخذ به رأساً لقوله^(٣) عليه السلام : « إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها » [١٩٣] وقال القاضى أبو بكر الباقلانى إنه مؤاخذ به ، واحتج له بحديث : « إذا اصطف^(٤) المسلمان بسيفيهما فالتقاتل والمقتول فى النار » قيل : يا رسول الله ، هذا القاتل ، فما بال المقتول ، قال إنه كان حريصاً على قتل صاحبه ، فأئمه بالحرص . وأجيب بأن اللقاء وإشهار السلاح فعل ، وهو المراد بالحرص .

٣١ — رأى عياض : يؤخذ بعمل القلب . آراء أخرى

وقال فى « الاكمال » يقول القاضى عياض^(٥) : قال [بذلك] أئمة السلف

(١) فى الأصل : الأوطان ، والتصويب من م .

(٢) هامش : هل العزم والتصميم مؤاخذ به ؟

(٣) م : لظاهر قوله .

(٤) الأصل : اصطفا ، وقد قومتها : اصطف . وفى م : سمع .

(٥) المراد كتاب « الاكمال لكتاب العلم فى شرح صحيح مسلم » للقاضى أبى الفضل عياض بن موسى البعصبى ، ولهذا أضفت بعد لفظ القاضى : عياض .

من الفقهاء والتكلمين والمحدثين، لكثرة الأحاديث الدالة على المؤاخذة بعمل القلب ، وحلوا أحاديث عدم المؤاخذة على المم^(١) ، قيل للنورى : أيؤاخذ^(٢) بالهمة ؟ قال : « إذا كانت عزماً » لكنهم قالوا : إنما يؤاخذ بسيئة العزم ، لأنها معصية ، لا بسيئة المعزوم عليه ، لأنها لم تُفعل ، فإن فُعِلت كتبت سيئة ثانية ، وإن كف عنها كتبت حسنة لحديث : « إنما تركها من جرّاء^(٣) » ، وقال محيي الدين النووى^(٤) تظاهرت النصوص بالمؤاخذة بالعزم ، كقوله تعالى : « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا » وقوله تعالى : « اجتنبوا كثيراً من الظن ، إن بعض الظن اثم » وقد أجمعت الأئمة على حرمة الحسد واحتقار الناس^(٥) وإرادة المكروه بهم ، انتهى .

واعترض هذا الاحتجاج بأن هذا العزم المختلف فيه ما له صورة في الخارج كالزنا وشرب الخمر ، وأما ما لا صورة له في الخارج كالأعتقادات وخبائث النفس من الحسد ونحوه فليس من صور محل الخلاف ، لأن النهى عنه في نفسه به وقع التكليف^(٦) ، فلا يحتج بالاجماع الذى فيه .

(١) أى الشروع فى العمل .

(٢) م : أنؤاخذ .

(٣) يريد : من جرّاء وقد ورد هذا الحديث الشريف فى صحيح مسلم ، قال : « وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قالت الملائكة : رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة ، وهو أبصر به ، فقال : ارقبوه فإن عملها فاكبوها له بعثها ، وإن تركها فاكبوها له حسنة ، وإنما تركها من جرّاء »

انظر صحيح مسلم ، طبعة دار الطباعة العاصرة ، (القاهرة ١٣٢٩) ، ج ١ ، باب الإيمان ، ص ٨٢ .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى م : التوفى ، ولا يصح أن يكون النووى ، لأن المشهورين من أصحاب هذا الاسم هم ابراهيم بن على بن ابراهيم النووى ومحمد بن عمر بن عمرو الجاوى النووى وعلى بن شرف النووى . ولم أجد لهذا الشيخ ذكراً فيها بين يدي من المراجع .

(٥) الأصل : النفس ، والتصويب من م .

(٦) يريد : لأن النهى عنه يعتبر فى نفس الوقت تكليفاً .

ولیکن هذا آخر ما ظهر کتبه من الجواب على السؤال المقيّد^(١) الموجه من قبل الفقيه المعظم الخطيب الفاضل القدوة الصالح البقية والجملة الفاضلة النقية السيد أبى عبد الله بن قطيه ، أدام الله سموه ورقيه .

وينبئ أن يترجم هذا الجواب ويسمى « بأسنى المتاجر فى بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر ، وما يترتب [٩٣ب] عليه من العقوبات والزواجر » . والله أسأل أن ينفع به ويضاعف الأجر بسببه .

قاله وخطه العبد المستغفر الفقير المسلم عبید الله أحمد بن يحيى بن محمد بن على الونشريشى^(٢) وفقه الله .

وكان الفراغ من كتبه يوم الأحد التاسع عشر لذي قعدة الحرام من عام ستة وتسعين وثمانائة ، عرفنا الله خيره .

(١) كذا ، ويحتمل أن يكون : المقيّد .

(٢) الأصل : الونشريسى .

ضَمِيمَةٌ (١)

فتوى أخرى للونشريشى فى شأن رجل أراد المقام فى الأندلس
ليخدم إخوانه المسلمين ويتكلم باسمهم ويخاصم عنهم .

[١٠٦] (٢) وكتب إلى الفقيه أبو عبد الله المذكور أيضاً بما نصه :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .
جوابكم يا سيدى رضى الله عنكم ، ومَتَّعَ المسلمين بحياتكم فى نازلة وهى :

٣٣ — سؤال هذه الفتوى : هل يجوز لرجل مسلم أن يتخلف عن
الهجرة من بلد النصرى للقيام بشئون إخوانه من أهل الدجن ؟

رجل من أهل مرزَبَلَهَ (٣) معروف بالفضل والدين تخلف عن الهجرة مع أهل
بلده ليهيئ عن أخ له فُقِدَ قَبْلُ فى قتال العدو بأرض الحرب ، فبحث عن
خبره إلى الآن فلم يجده ، وأيس منه . فأراد أن يهاجر ، فعرض له سبب آخر ،
وهو أنه لسانٌ وَعَوْنٌ للمسلمين المساكين الذميين (٤) حيث سكناه ، ولئن جاورهم
أيضاً من أمثالهم بفرية الأندلس ، يتكلم عنهم مع حكام النصرى فيما يعرض
لهم معهم من نواب الدهر ، ويخاصم عنهم ، ويخلص كثيراً منهم من ورطات

(١) استعملنا هذه الكلمة فى مقابل لفظ Appendix الإنجليزى و Appendice الفرنسى و
Anhang الألمانى ، وكما نستعمل قبلاً لفظ « ملحق » ولكن لفظ ضميمه أصح وأدق ، وقد استعمله
أبو الوليد ابن رشد المفيد فى هذا المعنى .

(٢) الأرقام هنا تشير إلى صفحات « المعيار العربى » للونشريشى ، طبعة فارس المشار إليها آنفاً
ج ٢ ص ١٠٦ وما يليها .

(٣) مرزبلة Marbella ميناء صغير فى إسبانيا على شاطئ البحر الأبيض على ٦٠ كيلو متراً غربى
مálaga ، وهى قاعدة قسم إدارى فى مديرية Málaga . انظر الروض المطار ، لابن عبد المنعم الحيمرى ، ص
١٨٠ من النص العربى ، و ص ٢١٧ من ترجمة لىنى بروفنسال ، وهامش ١

(٤) هذه أول مرة فيها أذكر بوصف فيها المسلمون الذين بقوا فى الأندلس بأنهم ذميون .

عظيمة ، بحيث أنه يعجز عن تعاطي ذلك عنهم أكثرهم ، بل ما يجدون مثله في ذلك الفن إن هاجر ، وبحيث انه يلحقهم في فقدته ضرر كبير إن فقدوه . فهل يرخص له في الإقامة معهم تحت حكم الملة الكافرة لما في إقامته هناك من المصلحة لأولئك المساكن الذميين ، مع أنه قادر على الهجرة متى شاء ، أو لا يرخص له ، أو لا رخصة لهم أيضاً في إقامتهم هناك ، تجري عليهم أحكام الكفر ، لا سيما وقد سمح لهم في الهجرة ، مع أن أكثرهم قادرون عليها متى أحبوا ؟

وعلى تقدير ان لو رخص له في ذلك ، فهل يرخص له أيضاً في الصلاة بتيابه حسب استطاعته ، إذ لا تخلو في الغالب عن نجاسة لكثرة مخالطته [١٠٧] للنصارى ، وتصرفه بينهم ، ورقاده وقيامه في ديارهم في خدمة المسلمين الذميين حسبما ذكرت ؟

يَبْنُوا لَنَا حُكْمَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ مَا جُورِينَ مَشْكُورِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالسَّلَامُ الْكَثِيرُ يَعْتَمِدُ مَقَامَكُمْ الْعَلِيِّ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ .
فَأَجِبْتُهُ بِمَا نَصَهُ :

٣٤ — رأى الونشريسي : لا يجوز ، لأن ذلك يتنافى مع عزة الاسلام . أهل الدين عصاة

الحمد لله تعالى ، وهذا الجواب ، والله تعالى ولي التوفيق بفضله :
إن إلهنا الواحد القهار ، قد جعل الخزية والصغار ، في أعناق ملاعين الكفار ، سلاسل وأغلالا يطوفون بها في الأقطار ، وفي أمهات المداين والأمصار ، إظهاراً لعزة الاسلام وشرف نبيه المختار ، فمن حاول من المسلمين — عصمهم الله ووقرهم — انقلاب تلك السلاسل والأغلال في عنقه ، فقد حادَّ الله ورسوله (١) ،

(١) اقتباس من الآية الكريمة : « إنا الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأسفلين » المجادلة ٢٠ . وهذه الآية الكريمة متصلة بالتي تليها من سورة المجادلة ، انظر الهامش التالي .

وعرض بنفسه إلى سحق العزيز الجبار ، وحقيق أن يُكْتَبِكَبِه اللهُ معهم في النار .
 [قال الله تعالى] « كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرَسُولِي إِنْ اللهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ » (١) .
 فالواجب على كل مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر السعى في حفظ رأس الإيمان
 بالبعد والفرار عن مساكنة أعداء حبيب الرحمن . والاعتلال بإقامة الفاضل
 المذكور بما عرض من غرض الترجمة بين الطاغية وأهل ذمته من الدجن (٢)
 العصاة لا يُخَالَصُ من واجب الهجرة ، ولا يتوهم معارضة ما سَطُرَ في السؤال من
 الأوصاف الطردية لحكمها الواجب إلا متجاهل أو جاهل معكوس الفطرة ليس معه
 من مدارك الشرع خبره . لأن مساكنة الكفار من غير أهل الذمة والصغار لا
 تجوز ولا تباح ساعة من نهار ، لما تنتج من الأضرار والمفاسد الدينية
 والدينية طول الأعمار . منها أن غرض الشرع أن تكون كلمة الإسلام وشهادة
 الحق قائمة على ظهورها ، عالية على غيرها ، منزهة عن الازدراء بها ، ومن ظهور
 شعائر الكفر عليها . ومساكنتهم تحت الذل والصغار تقتضى ولا بد أن تكون
 هذه الكلمة الشريفة العالية النيفة سافلة لا عالية ، ومُزْدَرَى بها لا منزهة .
 وحسبك بهذه المخالفة للقواعد الشرعية والأصول ، وبتن يتحملها ويصبر عليها
 مدة عمره من غير ضرورة ولا إكراه .

٣٥ — الافامة في حكم النصارى تحول دون كمال الصلاة

ومنها أن كمال الصلاة ، التي تتلو الشهادتين في الفضل والتعظيم والإعلان
 والظهور لا يكون ولا يُتَصَوَّرُ إلا بكامل الظهور والعلو والنزاهة من الازدراء
 والاحتقار في مساكنة الكفار ، وملابسة القُجَّار تعريضها للاضاعة والازدراء

(١) المجادلة ٢١

(٢) يريد أهل الدجن ، وهم المدجنون .

والهزة والامسب . قال الله تعالى : « إذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ^(١) » وحسبك بهذه المخالفة أيضاً .

٣٦ — وتصل الزكاة

ومنها إيتاء الزكاة ، ولا يخفى على ذى بصيرة وسريرة مستنيرة أن إخراج الزكاة [١٠٨] للامام من أركان الاسلام وشعائر الأنام ، وحيث لا إمام فلا إخراج لعدم شرطها ، فلا زكاة لفقد مستحقها ، فهذا ركن من أركان الاسلام مُنْهَدٌ بهذه الموالاة الكفرية . وأما إخراجها لمن يستعين بها على المسلمين فلا يخفى أيضاً ما فيه من الناقضة للمتعبات الشرعية كلها .

٣٧ — وتصل الصيام

ومنها صيام رمضان ، ولا يخفى أنه فرض على الأعيان وزكاة الأبدان ، وهو مشروط برؤية الهلال ابتداء وانقضاء ، وفي أكثر الأحوال إنما تثبت الرؤية بالشهادة ، والشهادة لا تؤدي إلا عند الأئمة وخلفائهم ، وحيث لا إمام ولا خليفة ولا شهادة [...] ^(٢) الشهر إذ ذاك مشكوك الأول والآخر في العمل الشرعى .

٣٨ — وتحول دون الحج

ومنها حج البيت ، والحج وإن كان ساقطاً عنهم لعدم الاستطاعة لأنها موكولة إليهم [...] ^(٣) .

(١) المائدة ١٨

(٢) يانز في الأصل .

(٣) العبارة هنا مبتورة ، إذ الجملة ناقصة ، وكذلك أول الفقرة التالية ومى خاصة بالجهاد .

[ومنها الجهاد]^(١) فالجهاد لإعلاء كلمة الحق ومحو الكفر من قواعد الأعمال الإسلامية ، وهو فرض على الكفاية ، وعند ميسر الحاجة ، ولا سيما بمواضع هذه الإقامة المسنول عنها وما يجاورها ، ثم هم إما [تاركوه من غير]^(٢) ضرورة مانعة منه على الإطلاق [فهم]^(٣) كالعازم على تركه من غير ضرورة ، والعازم على الترك من غير ضرورة كالتارك قصداً مختاراً^(٤) ، وإما مقتحمون نقيضه بمعاونة أوليائهم على المسلمين ، إما بالنفوس وإما بالأموال ، فيصيرون حربيين مع المشركين وحسبك بهذه مناقضة وضلالة .

٤٠ — هذه الإقامة تضع من أمر الإسلام وتمرض للاستغراق في مشاهدة التكرات

وقد اتضح بهذا التقرير نقص^(١) صلاحاتهم وصيامهم وزكاتهم وجهادهم ، وإخلائهم بإعلاء كلمة الله وشهادة الحق ، وإهالمهم لاجلالها وتمظيمها وتزبيها عن ازدراء الكفار وتلاعب الفجار ، فكيف يتوقف متشرع أو يشك متورع في تحريم هذه الإقامة مع استصحابها لمخالفة جميع هذه القواعد الإسلامية الشريفة الجليلة ، مع ما ينضم إليها ويقترن بهذه المساكنة المقهورة مما لا ينفك عنها غالباً من التقيص الديناوى وتحمل المذلة والمهانة ؟ وهو مع ذلك مخالف لمهود

(١) أضفت هذه العبارة ليستقيم السياق ، وظاهر أن الناسخ سها عن آخر الفقرة السابقة وأول هذه .

(٢) أضفت هذه الألفاظ ليستقيم السياق .

(٣) ألا ينطبق هذا على المؤلف نفسه ، وهو لم يخرج للجهاد في حياته أبداً ؟ وإذا أخذنا تاريخ الفتوى السابقة ، كان المؤلف قد كتب الفتوى اتنى نحن بصددها وسنة ٦٢ سنة ، وفي هذه السن وقف يلوم المدجنين المساكن على تركهم للجهاد ، مع أنهم لم يكونوا في موقفهم الذى كانوا فيه إلا مجاهدين عن دينهم (انظر التمهيد) .

(٤) مقابل هذا في الهامش : مهم !

عزة المسلمين ورفعة أقدارهم ، وداع إلى احتقار الدين واهتضامه ، وهو^(١) — أى ما ينضم إلى ما تقدم — أمور أيضاً تصطك منها المسمع ، منها الاذلال والاحتقار والاهانة . وقد قال عليه السلام : « لا ينبغي لمسلم أن يذل نفسه » وقال : « اليد العليا خير من اليد السفلى » .

ومنها الازدراء والاستهزاء ولا يتحملها ذو مروءة فاضلة من غير ضرورة ، ومنها السب والأذية في العرض ، وربما كانت في البدن والمال ، ولا يخفى [ما] فيه من جهة السنة واللروءة .

ومنها الاستغراق في مشاهدة المنكرات والتعرض للملابسة النجاسات وأكل المحرمات والمتشابهات .

٤١ — الحوف من نقض التعارى لمهودم

ومنها [١٠٩] ما يتوقع مخوفاً في هذه الاقامة ، وهو أمور أيضاً ، منها : نقض العهد من الملك والتسلط على النفس والأهل والولد والمال . وقد روى أن عمر بن عبد العزيز نهى عن الإقامة بجزيرة الأندلس^(٢) ، مع أنها كانت في ذلك الوقت رباطاً لا يُجمل فضله ، ومع ما كان المسلمون عليه من العرة والظهور ووفور العدد والعدد ، لكن مع ذلك نهى عنه خليفة الوقت المتفق على فضله ودينه وصلاحه ونصيحته لرعيته خوف التفرير ، فكيف بمن ألقى

(١) كذا ، والأصح هنا : مى .

(٢) هامش : نهى عمر بن عبد العزيز عن الإقامة بجزيرة الأندلس . هذا ولم ينه عمر بن عبد العزيز عن الإقامة بالأندلس ، وإنما ظن أن المسلمين بها قليلون وأمرهم بها ضعيف ، فكان « رأيه نقل المسلمين منها وإخراجهم عنها ، لاقطاعهم عن المسلمين واتصالهم بأعداء الله الكفار ، فقيل له : إن الناس قد كثروا بها وانتشروا في أقطارها ، فأضرب عن ذلك » ابن عذارى ، البيان المغرب ، طبعة كولان وبروفنسال ، ليدن ١٩٥١ ، ٢/٢٦ . وانظر تفصيلاً أكثر في « رحلة الوزير في افتكك الأسير » لمحمد بن عبد الوهاب النضائى (نشرها الفريد البستاني ، تطوان ١٩٣٩) ص ١١٣

نفسه وأهله وأولاده بأيديهم عند قوتهم وظهورهم وكثرة عددهم ووفور عددهم اعتماداً على وفائهم بعدهم في شريعتهم ، ونحن لا نقبل شهادتهم بالإضافة إليهم ، فضلاً عن قبولها بالإضافة إلينا ، وكيف نعتد على زعمهم بالوفاء مع ما وقع من هذا التوقع ، ومع ما يشهد له من الوقائع عند من بحث واستقرأ الأخبار في معمر الأقطار .

٤٢ — الخوف على النفس والأهل والولد والمال من شرارهم

ومنها الخوف على النفس والأهل والولد والمال أيضاً من شرارهم وسفاهتهم ومغتالبيهم ، هذا على فرض وفاء دهاقينهم وملذمتهم ، وهذا أيضاً تشهد له العادة وتقرُّ بها الوقوع .

٤٣ — الخوف من الفتنة في الدين

ومنها الخوف من الفتنة في الدين ، وهب أن الكبار العقلاء قد يأمنونها ، فمن يؤمن الصغار والسفهاء وضعفة النساء إذا اتدب إليهم دهاقين الأعداء وشياطينهم ؟

٤٤ — الخوف على الأبضاع والفروج إشارة إلى حادث كنة المتمد ابن عباد

ومنها الخوف من الفتنة على الأبضاع والفروج ، ومتى يأمن ذو روجة أو ابنة أو قريبة وضيئة أن يعثر عليها وضيء من كلاب الأعداء وخنازير البعداء ، فيغترها في نفسها ويغرها في دينها ، ويستولى عليها وتطاوله ، ويحال بينها وبين أوليها بالارتداد والفتنة في الدين كما عرض لكنة المتمد بن عباد ومن لها من الأولاد ، أعاذنا الله من البلاء وشماتة الأعداء^(١) .

(١) الإشارة إلى كنة المتمد بن عباد صاحب اشيلية ، واسمها زابدة وربما سيدة ، وكانت زوجاً لثاني أولاده المأمون واسمها عباد أو فتح وكان قد ولاء قرظبة لفترة قصيرة ، ثم لقي مصرعه في =

٤٥ — الخوف من غلبة عاداتهم ولقمتهم ولباسهم
على المقيمين بينهم . حالة أهل أبله

ومنها الخوف من سرعان سيرهم ولباسهم وعوائدهم المذمومة إلى
المقيمين معهم بطول السنين ، كما عرض لأهل « أبله » وغيرهم ، وقد دوا اللسان
العربي جملة^(١) ، وإذا فقد اللسان العربي جملة فُقدت متعبداته ، وناهيك من
فوات المتعبدات اللفظية مع كثرتها وكثرة فضلها .

٤٦ — الخوف من التسلط على المال بإحداث
الوظائف الثقيلة والمغارم المجعفة

ومنها الخوف من التسلط على المال ، بإحداث الوظائف الثقيلة والمغارم

دفاع المرابطين عن قرطبة ، في ٣ صفر ٤٨٤/٢٦ مارس ١٠٩١ ، فهربت زوجته إلى بلاد الفونسيو السادس
ملك قشتالة وليون ، وهناك أصبحت حطية له ، وارتدت عن الاسلام واعتنقت النصرانية ، واعتبرها
زوجاً غير شرعية له . وقد رجح لبني بروفنسال أن يكون تسريه إياها في نهاية ١٠٩١ م . (منتصف
٤٨٤ هـ) أو أوائل ١٠٩٢ م (أواخر ٤٨٤ هـ) ، وقد ولدت له ابنه الوحيد سانشو الذي قتله المرابطون
في موقعة اقليش عام ١١٠٨ م (٥٠١ هـ) وقد ماتت زائدة أثناء ولادته .
وقد ذكر لبني بروفنسال عبارة الونشريشي هذه في نهاية مقاله عن زائدة ، وسند ذكره فيما بعد .
ابلقه إياها الأستاذ هنري بريس فأثنى بترجمتها الفرنسية في مقاله . وقد نقلها مترجماً مقال بروفنسال عن
الفرنسية بالماني .

Cf: La « Mora Zaida » femme d'Alphonse VI et leur fils l'Infant Don Sancho; ds. Lévi-Provençal, *Islam d'Occident. Etudes d'Histoire Médiévale* (Paris 1948) pp. 137—151

والترجمة العربية لهذا الكتاب التي قام بها الدكتور السيد محمود عبد العزيز سالم والأستاذ محمد
صلاح الدين حلمي (راجعه الدكتور لطفي عبد البديع ، مجموعة الألف كتاب رقم ٨٩ ، القاهرة
١٩٥٦) ص ١٥١ — ١٦٤

(١) استولى المسلمون على أبله Ávila عام ٧٦٣/١٤٥ أيام عبد الرحمن الداخل ، وظلوا يحكمونها
حتى ٨٦٤/٢٥٠ من أيام الأمير محمد حين انتزعها منهم ألفونسيو الثالث ملك ليون ، ثم استردها المسلمون
بعد فترة قصيرة وظلت في حوزتهم حتى سقطت في يد ألفونسيو السادس ملك قشتالة وليون بعد استيلائه
على طليطلة ثلاث سنوات أي سنة ١٠٨٨/٤٨١ وكانت غالبية سكان البلد إذ ذاك من المسلمين ، فاستقدم
ألفونسيو أعداداً كبيرة من اليونانيين والاشتوريين والجليقيين والبسكيين فامتلات بهم البلد ، وأصبح
غالبية أهله نصارى ، وأخذت أعداد الجماعة الاسلامية تقل ، ولكنها احتفظت بشخصيتها ، مثلها في
ذلك مثل جماعة شقوية Segovia ، وقد فقدت الجاليتان اللغة العربية فلم يبق لديهم منها إلا ألفاظ
ورسم الحروف . وقد ظلت الجماعة الاسلامية في كل من البلدين حتى القرن السابع عشر

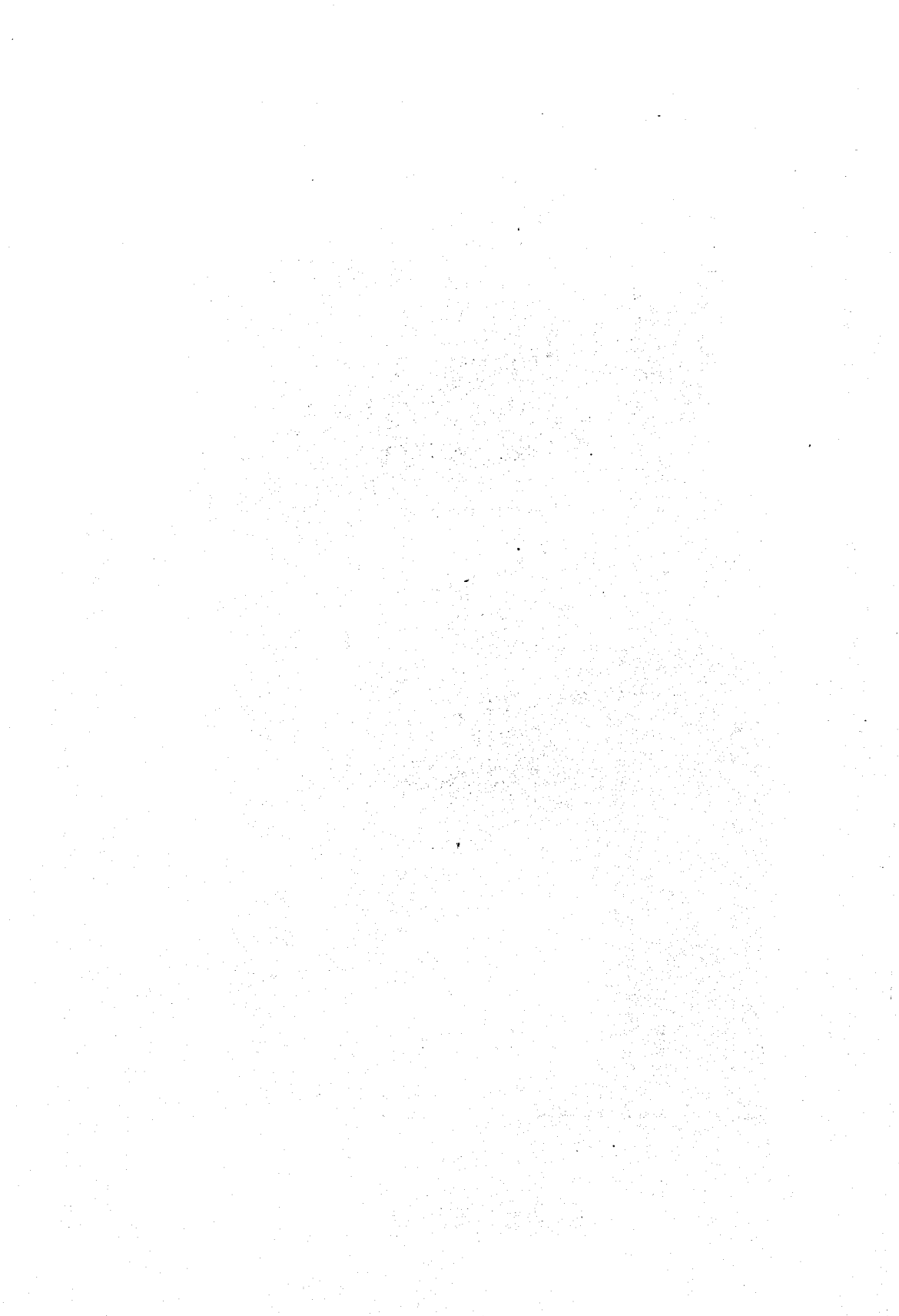
المحفة المؤدية إلى استغراق المال وإحاطة الضرائب الكفرية به في دفعة واحدة في صورة ضرورة وقتية أو في دُفْع ، وإما استناداً إلى تليفق من العذر والتأويل لا تُسْتَطَاع مراجعتهم فيه ولا مناظرتهم عليه وإن كان في غاية من الضعف [١١٠] ووضوح الوهن والفساد ، فلا يقدم على ذلك خوفاً من أن يكون سبباً لتحريك دواعي الحقد وداعية لنقض العهد والتسلط على النفس والأهل والولد ، وهذا يشهد له الوقوع عند من بحث ، بل ربما وقع في موضع النزالة المستول عنها وفي غيره غير مرة .

٤٧ - الملامة : تحريم هذه الإقامة

فقد ثبت بهذه المفاصد الواقعة والمتوقفة تحريم هذه الإقامة وحظر هذه المساكنة المنحرفة عن الاستقامة من جهات مختلفة متعاضدة مؤدية إلى معنى واحد . بل نقل الأئمة حكم هذا الأصل إلى غيره لقوته وظهوره في التحريم فقال إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه : « إن آية الهجرة تعطى أن كل مسلم ينبغي أن يخرج من البلاد التي تغير فيها السنن ويميل فيها بغير الحق » فضلاً عن الخروج والفرار من بلاد الكفرة وبقاع الفجرة ، ومعاذ الله أن تركز لأهل التثليث أمةً فاضلةً توحده ، وترضى بالمقام بين أظهر الأنجاس الأرجاس وهي تمظمه .

فلا فسحة للفاضل المذكور في إقامته بالموضع المذكور للغرض المذكور ، ولا رخصة له ولا لأصحابه فيما يصيب ثيابهم وأبدانهم من النجاسات والأخبث ، إذ العفو عنها مشروط بمس التوق والتحرز ، ولا عسر مع اختيارهم للإقامة والعمل على غير استقامته والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق .

وكتب مُسَلِّماً على من يقف عليه من أهل لا إله إلا الله العبدُ المستغفر الفقير الحقير ، الراغبُ في بركة من يقف عليه وينتهي إليه عبيدُ الله أحمد بن يحيى بن محمد بن علي الونشريشي وفقه الله .



الفهارس العامة

- فهرس الأعلام
- فهرس الأماكن الجغرافية
- فهرس الطوائف والأجناس
- فهرس الكتب الواردة في النص
- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية

١- الأعلام

- ابن الأبار : ١٥
 إبراهيم بن علي بن إبراهيم : ٥٥
 الأبياري : ٣٤
 ابن الأنير : ٩
 أحمد بن إهميم السبائي : ٣٣
 أحمد بابا التمبكي : ٧، ٦، ٥
 المنصور : ٦
 زى : ٢٥
 بدر الثالث : ١٧
 ب بن عبد العزيز : ٤١، ٢٥، ١٠
 الصغ بن سرج : ٤١
 الأسمسي : ٢٢
 ابن الأعرابي : ٢٢
 ألفونسو الثاني : ١٤
 ألفونسو السادس : ١٦، ١٣، ١٢، ١١
 ٦٤، ١٨، ١٧
 اميل امار : ٥، ٤
 ايسدرودى لاس كاخيچاس : ٢١، ١٥
 الباجي : ٤٠
 البخاري : ٢٥
 البرزلي : ٦
 بروكلمان : ٢٥، ٤، ٣
 ابن بسام : ١٢
 ابن بشكوال : ٤١
 أبو بكر الباقلاني : ٥١، ٥٠، ٣٣
 ٥٥، ٥٤
 أبو بكر بن العربي : ٧، ١٠، ٢٥، ٢٦
 ٤٣، ٤٢، ٤١، ٣٩، ٣٨، ٣٧، ٣٦
 أبو بكر بن القوطية : ٣٣
 البيضاوي : ٣٩
 الترمذى : ٣٤، ٢٥
 ابن التيان = محمد بن إسحاق : ٣٣
 الثوري : ٥٥
 ابن جبير : ٢٢
 جعفر بن أبي طالب : ٤٤
 الجويني = أبو المعالي : ٥٠، ٤٩
 ابن الحاج : ٤٣، ٤٢، ٤١
 ابن الحاجب : ٦
 أبو حامد الغزالي : ٤٨، ٢٠
 حسن حسني عبد الوهاب : ٢٠، ١٩

- السهيلى : ٣٤
- سيويه : ٦
- الشافعى : ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤١
- شلبى : ٣٤
- طلحة بن يحيى بن على : ١٥
- أبو عباد بن مريح اللمطى : ٦
- ابن عباس : ٣٥، ٣٦
- ابن عبد البر = أبو محمد : ٣٣
- عبد الحى الكتانى : ٥
- عبد الرحمن الداخل : ٦٤
- عبد الرحمن بن القاسم : ١٠، ٣٣
- ٥١، ٥٢، ٥٣
- عبد السميع المصمودى : ٦
- عبد الله بن إبراهيم الأصيلى : ٣٣
- أبو عبد الله الجلاب : ٦
- عبد الله بن فروخ : ٥٢
- أبو عبد الله بن قطبة : ٢٢، ٥٦، ٥٧
- عبد الملك بن المنصور بن أبى عامر :
- ٤٢
- عبد الواحد بن محمد بن قاسم القصار : ٧
- أبو عبيدة بن الجراح : ٤٤
- عثمان بن عفان : ٤٤
- ٢١، ٢٢، ٤٨
- أبو الحسن القابسى : ٣٣
- الحميرى = ابن عبد المنام : ٥٧، ٥٨
- أبو حنيفة : ٣٨، ٤٠، ٤١
- خالد بن الوليد : ٣٧
- الخشنى : ٣٣
- ابن خلدون : ١٥، ٤٠
- ابن خلكان : ٤٠
- خوليو كاروباروخا : ١٩
- أبو داود : ٢٥، ٣٥
- ابن أبى دليم : ٣٣
- ابن رشد = أبو الوليد : ٣٠، ٣١، ٤١
- ٤٢، ٤٣، ٤٤
- رينيه باسيه : ٥
- زايدة : ٦٣
- أبو زكريا السوسى : ٦
- ابن أبى زمنين : ٣٣
- سانشو : ٦٤
- سحنون : ١٠، ٤١، ٥١، ٥٢، ٥٣
- السقا : ٣٤
- أبو سلعة بن عبد الأسد : ٤٤
- أبو سليمان الخطاى : ٣٥، ٣٦

- ابن عذارى : ٤٢، ٦٢
ابن عرفه : ٤٧، ٥٢، ٥٣، ٥٤
ابن عسكر : ٥
ابن عظوم : ٢١، ٤٨
العقباني : ٦
عقيل : ٣٧
علي بن شرف النووي : ٥٥
عمر بن حفصون : ٥١
عمر بن الخطاب : ٢٢
عمر بن عبد العزيز : ٢٥، ٦٢، ٦٣
عياض : ٥٤، ٥٥، ٥٦
ابن غانم : ٥٢
الغرابلي : ٦
ف. بروفنزالي : ٥
الفارسي : ٥٢
ابن فرحون : ٧
ابن الفرضي : ٣٣
فرناندث : ١٥، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠
الفريد البستاني : ٦٢
أبو الفضل قاسم العقباني : ٦
القادر بن ذى النون : ١٢
ابن القاضي : ٥، ٤١، ٤٢، ٤٧
- الكتاني : ٥
ابن الكردبوس : ١٢، ١٦، ١٧
الكوندبوريل : ٤٢
لطفى عبد البديع : ١٢، ٦٤
لامبير : ٥
ليفي بروفنسال : ١٢، ٤٢، ٤٣، ٦٤
ابن الماجشون : ٥١
ماركوس جوزيف مولر : ٣
المازري : ٦
مالك بن أنس : ١٠، ٢٥، ٢٦، ٣١
٣٢، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤١، ٤٣
٤٤، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤
٥٥، ٦٤، ٦٥
المالكي : ٥١
ماوري باتسي : ١٣
ابن مجاهد الطائي : ٣٣
محمد = النبي ﷺ : ٩، ١٠، ١٨
٢٢، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٣٠، ٣١
٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٤٠، ٤١
محمد بن أحمد بن خلف : ٤١
محمد بن أحمد بن قاسم : ٦
محمد بن صلاح الدين حلمي : ١٢

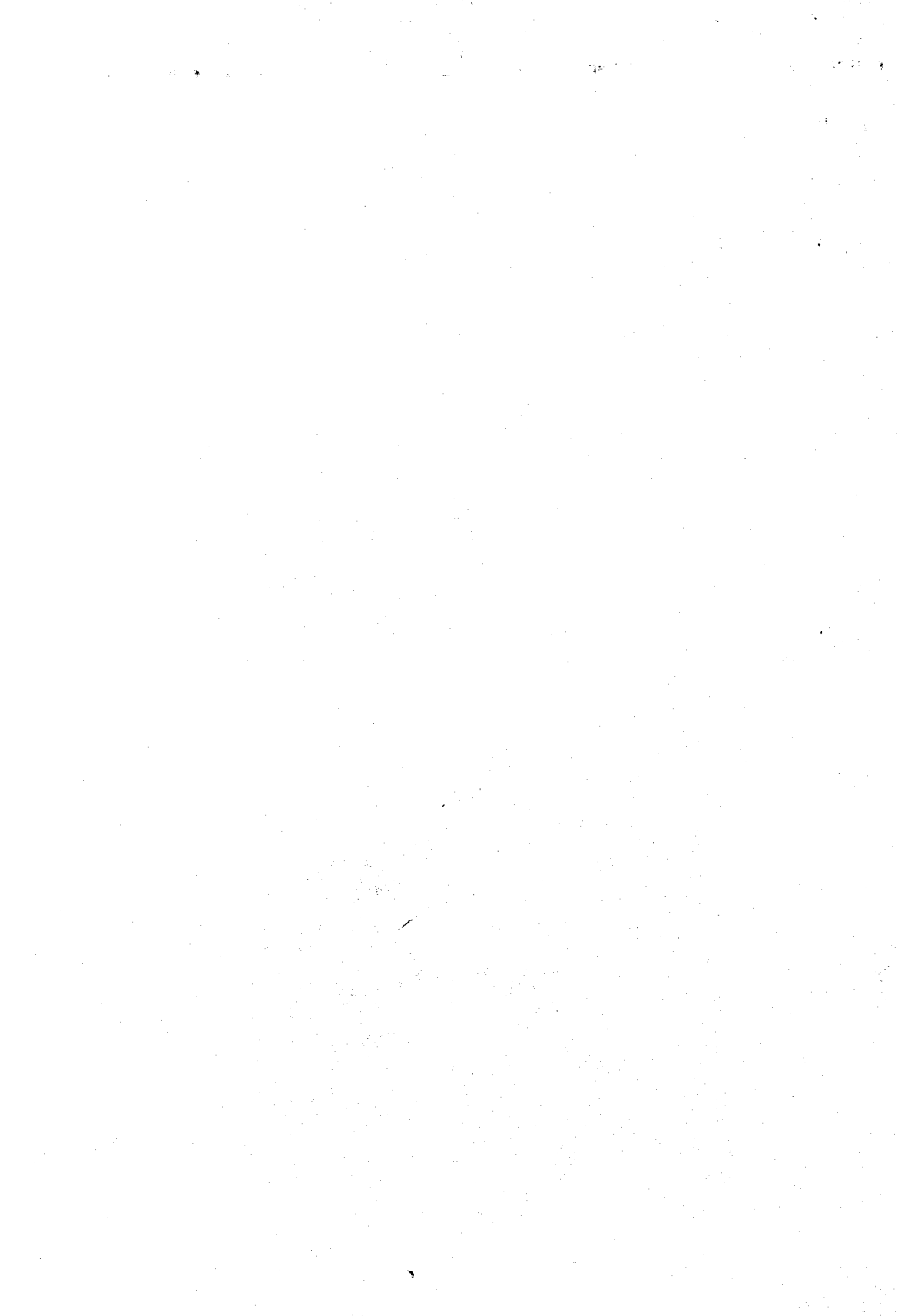
معاوية : ٣٥ ، ٣٦	٦٤
ابن المعتمد : ٨	محمد بن العباس : ٦
المعتمد بن عباد : ٨ ، ٦٣	محمد بن عبد الجبار الوردغيري : ٦
مغربى : ٤	محمد بن عبد الله الأبهري : ٣٣
المقرى : ٢٢	محمد بن عبد الوهاب الفسائي : ٦٢
المقریزی : ٩	محمد بن علي بن عمر التميمي =
المنصور بن أبي عامر : ٤٢	المازري : ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٤٨ ،
المهدى العباسي : ٩	٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤
النجاشي : ٤٤	٥٦ ، ٥٥
النسائي : ٢٥	محمد بن عمر بن عربي الجاوي : ٥٥
نقفور فوكاس : ٩ ، ٣٢	محمد بن الفرديسي التغلبي : ٦
هارون الرشيد : ٩	محمد بن قاسم القصار : ٧
ابن هشام : ٣٤	محمود بن عبد العزيز سالم : ١٢ ، ٦٤
ابن الهندي : ٣٣	محمود بن علي مكى : ٥
الونشريشي : ٣ ، ٤ ، ٥ ، ١٠ ، ١٧ ،	محيى الدين الخطيب : ٤٠
١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ،	محيى الدين النووي : ٥٤
٢٤ ، ٢٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٥١ ،	المري : ٦
٥٢ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ،	ابن مريم : ٥
٦٣ ، ٦٤	ابن مرزوق : ٦
يحيى بن عمر : ٥	مصطفى محمد : ٣٩
يوحنا الشميشق : ٩	مطرف : ٥١

٢- الأماكن الجغرافية

باريس : ٤٢	أبرو «نهر» : ٤٢
بجاية : ٥	أبلة : ١٢، ١٧، ١٨، ٦٤
البحر الأبيض المتوسط : ٩	أرغون : ١٤، ١٥، ١٦
برشلونة : ٤٢	إسبانيا : ١١، ١٦، ١٧، ١٨، ٥٧
بعلبك : ٩	٥٨
بلنسية : ١٢، ١٦، ١٧، ٤٨	الاسكريال : ٤
تلمسان : ٦، ٧، ٤١، ٤٩	إشبيلية : ١٧
تونس : ٢١، ٤٨، ٤٩، ٥٠	إفريقية : ٣، ٤، ٦، ١٩، ٣٣، ٣٤
الشفرة الأعلى : ١٥، ١٦، ١٧، ١٨	٥٢، ٥٣
ثغر نابل : ٤٨	أقليش : ١٢، ٦٣، ٦٤
جامع القرويين : ٥	الأندلس : ٤، ٦، ٧، ٨، ١٠، ١١
جبال بني شقران : ٥	١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨
جباله : ٩	٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥
الجزائر : ٥	٢٦، ٢٧، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٩
الجليل : ٩	٤٠، ٤١، ٤٤، ٤٥، ٥١، ٥٢
الجمعية التاريخية المصرية : ٤٨	٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢
الحبشة : ١٠، ٤٤	٦٣، ٦٤، ٦٥
الحجارة «وادي» : ١٢	انطاكية : ٩
الحجاز : ٤٩، ٥٠	اوسيمما : ١٢
الحديثة : ٩	ياجه : ٥

طلمنكة : ١٢	حلب : ٩، ٣٢
طليطلة : ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٦،	حمام : ٩
١٧، ١٨، ٦٤	حمص : ٩، ٣٢
عاث : ٩	خراسان : ٣٩
العراق : ١٠، ٢٥	دجن : ٤٨
عين زرب : ٩	دمشق : ٩
غالة : ١٦	رباط : ٤١
غرناطة : ٣، ١١، ١٢، ١٥، ١٦،	الزلاقة : ١٢
١٧، ١٨	سارا اسينو : ١٤
فاس : ٤، ٦، ٧، ١٨، ٢٥، ٢٦،	سالم «مدينة» : ١٢
قالى قلا : ٩	سلمية : ١٢
القاهرة : ١٢	سهاجون : ١٢
قرطبة : ١٧، ٦٣، ٦٤	الشام : ٩، ٢٥، ٣٢، ٣٣
قسطنطينة : ٥	شقوقية : ١٦، ١٧، ١٨، ٦٤
قشتالة : ١١، ١٢، ١٥، ١٦، ٥٣،	شلب : ١٥، ٦٤
٦٤، ٦٥	شيزر : ٩
قطلونية : ٤٢	صقلية : ٩، ١٩، ٢٠، ٣٣، ٣٤،
قوصرة : ٤٨	٤٨، ٤٩
القيروان : ٣٣	طبرية : ٩
قيصرية : ٩	طرابلس : ٩، ٣٢، ٣٣
كركي : ١٢	طرطوشة : ٤٨
كريت : ٩	طلبيرة : ١٢

اللاذقية : ٩	المغرب لأقصى : ٧
ليدن : ٤٠ ، ٦٢	مكة : ٣١ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٤
ليون : ١١ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٦ ، ٦٤ ، ٦٥	المهدية : ٤٨
مازره : ١٩	موره : ١٢
مالقة : ٥٧ ، ٥٨	مصايف : ٤
مجريط : ١٢	مصر : ١٠
مجلة جمعية المستشرقين الألمانية : ٢٥	مصر : ٤٤
مدريد : ٥	مصر : ٤٤
المدور : ١٢	مصر : ٤٤
المدينة المنورة : ٢٥ ، ٣٥ ، ٣٦	مصر : ٤٤
مربلة : ٥٧	نصيبين : ٩
مرعش : ٩	ورنسينس : ٥
المسجد الجامع : ١٢	ونشريش : ٥
المشرق : ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٤ ، ١٥ ، ٥٠	وهران : ٧
المطبعة المنيرية : ٣٢	يثرب : ١٠
معهد الدراسات الإسلامية : ٣ ، ٥	اليط : ١٢
المغرب : ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٤	اليمن : ٢٥
٤٠ ، ٣٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٥	



٣- الطوائف والاجناس

المرابطون : ٨ ، ٦٤ ، ٦٥	الأرد : ٣٤
المستعربون : ١٣ ، ١٧ ، ١٨	الأشثوريون : ٦٤
المسلمون : ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨	الأشثعريون = الأشثعريه : ١٠ ، ٤٠ ، ٥٤
١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٠	٥٥
٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦	بنو أمية : ١٠ ، ٢٥
٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤	الأنثلسيون : ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦
٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١	٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٦٤
٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧	البربر « البربري » : ٥
٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥	البسكيون : ٦٤
الموحدون : ١٥	بنو جذيمة : ٣٧
الموريسكيون : ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨	الجليقيون : ٦٤
١٩ ، ٢٠	الحنفية : ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١
النصارى : ٣ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢	الخزر : ٩
١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨	الروم : ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ٣٢
١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤	السلف : ٥٤
٢٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦	الطوائف : ١٢
٣٧ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦	العرب : ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٣٢
٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣	٣٣ ، ٣٤
٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩	الفرنج : ٧
٦٠ ، ٦٤ ، ٦٥	الليونيون : ٦٤
اليهود : ١٧ ، ١٨ ، ٢٩	المالكية : ١٠ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١
	الماوري : ١٣ ، ١٤



٤- الكتب

- | | |
|---|---|
| الحلة السبراء : ١٥ | إجماع أهل المدينة : ٣٣ |
| الديباج المذهب فى معرفة علماء المذهب : ٧ | الأحكام : ٣٦ |
| درة الحجال : ٤٨ ، ٤٧ ، ٤١ ، ٥ | أحكام السوق : ٥ |
| الدكانة : ٤٩ ، ٤٨ ، ٢١ | أحوال المهاجرين الفرناطيين فى إفريقية : ٣ |
| دوحة النسرين : ٥ | إحياء علوم الدين : ٤٨ |
| الذخيرة : ١٢ | أساس البلاغة : ٤٢ |
| رحلة ابن جبير : ٢٢ | الأصول : ٣٣ |
| رحلة الوزير فى اقتكاك الأسير : ٦٢ | الاكتفاء : ١٧ ، ١٦ ، ١٢ |
| الروض الأنف : ٤٩ ، ٤٨ ، ٣٤ | الأكمال : ٥٤ |
| الروض المعطار : ٥٨ ، ٥٧ | إمتاع الأسماع : ٩ |
| رياض النفوس : ٥١ | أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٣٩ |
| سلوة الأنفاس : ٥ | إيضاح المحصول من برهان الأصول : ٤٩ |
| السيرة النبوية : ٣٤ | الإيمان : ٥١ |
| شرح البرهان : ٤٩ | البستان : ٥ |
| صحيح مسلم : ٥٤ | البيان المغرب : ٦٤ ، ٦٣ ، ٦٢ ، ٤٢ |
| طبقات الشافعية : ٥٠ ، ٤٩ | التمهيد : ٦٢ ، ٦١ ، ٤٧ |
| طبقات علماء إفريقية : ٥١ | تاريخ ابن خلدون : ١٥ |
| عارضه : ٣٦ ، ٢٥ | تاريخ الفكر الأندلسى : ١٨ |
| العواصم فى القواصم : ٤٠ | جذوة الاقتباس : ٥ |
| غنية المعاصر والتالى على وثائق القشتالى : ٦ | جزيرة قوصرة العربية : ٤٨ |

المعيار والمغرب والجامع عن فتاوى أهل

إفريقية والأندلس : ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٢١ ،

٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠

المعين على التلقين : ٤٨

المقدمات : ٣١

موطأ : ١٠

نفع الطيب : ٢٢

نوازل الجهاد : ٥

نيل الابتهاج : ١ ، ٥

هداية المستبصر : ٣٣

وفيات الأعيان : ٤١

الفائق في أحكام الوثائق : ٦

الفهرست : ٦

القواعد في الفقه : ٦

الكامل في التاريخ : ٩

كتاب التجارة : ٣٠

كتاب النصارى : ١٣

الكشف والأنباء على المترجم بالإحياء : ٤٨

لسان العرب : ٢٢

المدونة : ٦ ، ١٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥١ ، ٥٢

مدونة بلاى : ١٢

مسند الموطأ : ٣٣

المعلم بفوائد مسلم : ٤٨

٥- الآيات القرآنية

- | | |
|--------------------------------------|----------------------------------|
| سورة المجادلة : ٥٨ ، ٥٩ | سورة آل عمران : ٢٧ |
| سورة الممتحنة : ٢٧ | سورة الأنفال : ٣٩ |
| سورة المنافقون : ٤٥ | سورة التغابن : ٤٥ |
| سورة النساء : ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٩ ، ٥٢ | سورة الرعد : ٥٣ |
| سورة هود : ٢٨ | سورة المائدة : ٢٨ ، ٢٩ ، ٤٥ ، ٦١ |

٦- الأحاديث النبوية

- إذا اصطف المسلمان : ٥٤
أمرت أن أقاتل الناس : ٣٨ ، ٤٠
إن الله تجاوز لأمتي : ٥٤
أنا بري من كل مسلم .. : ٣٠ ، ٣٤ ، ٥٣
فمن ساكنهم أو جامعهم : ٥٣
القابض على دينه كالقابض على الجمر : ١٨
لا تساكنا المشركين : ٣٤
لا تنقطع الهجرة : ٣٥
لا هجرة بعد الفتح : ٣٥
لا يحل مال امرئ ... : ٣٨
لا ينبغي لمسلم أن يذل نفسه : ٦٢
من أسلم على شيء فهو له : ٣٨
اليد العليا خير من اليد السفلى : ٦٢
يوشك أن يكون خير مال المسلم : ٢٥

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	تمهيد:
٣	- المخطوط
٥	- المؤلف
١٠	- المشكلة
١٣	- المدجنون
٢٢	نص الكتاب:
٢٢	١- المسألة : هل تجوز إقامة المسلم فى بلد غلب عليه النصرى
٢٥	٢- الجواب : الهجرة إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة
٢٦	٣- لا تجوز الإقامة إلا فى حالة العجز عن الهجرة بكل وجه الأدلة من القرآن الكريم
٣٠	٤- من أجاز هذه الإقامة مارق من الدين ومفارق لجماعة المسلمين
٣٠	٥- رأى أبى الوليد بن رشد الجد : تحريم الإقامة
٣١	٦- مناقشة فقهية حول رأى ابن رشد
٣٤	٧- الأدلة من الحديث الشريف
	٨- رأى أبى سليمان الخطابى :
٣٥	الأمر فى الهجرة إلى النذب والاستحباب
٣٦	٩- نقض رأى أبى سليمان الخطابى
	١٠- رأى أبى بكر بن العربى :
٣٦	من بقى عصى ويختلف حاله
٣٧	١١- مسألة فرعية : النطق بالشهادتين شرط الإسلام؟

- ١٢- حكم دم المقيم بدار الحرب وماله . هل العاصم
٣٧ الإسلام أم الدار؟ رأى مالك بن أنس
- ١٣- رأى أبى بكر بن العربى : العاصم للدم الإسلام وللمال الدار
٣٨ ورأى الشافعى : العاصم لهما جميعا الإسلام
- ١٤- رأى أصحاب أبى حنيفة : الدار لا تعصم
٤٠ الونشيشى ينقض هذا الرأى
- ١٥- رأى ابن الحاج : ليس لأحد على مال المسلم
٤١ المقيم بدار الحرب أو دمه سبيل
- ١٦- رأى ابن الحاج فى المسلمين المتخلفين فى برشلونة
٤٢ الذين يشتركون مع النصارى فى الإغارة على المسلمين
- ١٧- رأى شيوخ آخرين : لا سبيل على دماء المسلمين
المقيمين مع النصارى إلا إذا اشتركوا فى محاربة
٤٣ المسلمين، ولا سبيل على أموالهم إلا إذا أعانوهم بها
- ١٨- شكوى المهاجرين إلى أرض الإسلام من ضيق المعاش زعم فاسد
٤٤ وتوهم كاسد، لا رخصة لأحد فى الرجوع إلى بلاد النصارى بحال
- ١٩- لا بد من إرهابهم بالعقوبة الشديدة والتنكيل المبرح ضربا وسجنا
٤٦ ٢٠- المقيم والراجع بعد الهجرة والمتمنى الرجوع لا يحق
لهم تولي القضاء أو الإمامة ولا تقبل شهادتهم
٤٧
- ٢١- هل تقبل خطابات قضاة أهل الدجن وهل يجوز الرد عليها؟
٤٨ ٢٢- رأى المازرى : تحسين الظن بالمسلمين . إذا كان قاضى
أهل الدجن مضطرا للإقامة فأقامته لا تقدر فى ولايته
٤٨
- ٢٣- تولية الكافر للقضاة والأمناء واجب عقلا، ولا يقدر فى أحكامهم
٥٠ ٢٤- هل يجوز للمخارج على الإمامة تولية القضاة؟
- ٥١ مطرف وابن الماجشون يريان أن ذلك يجوز

- ٥١ - ٢٥- رأى شيوخ الأندلس : لا يجوز
- ٥١ - ٢٦- هل تقبل ولاية القضاء من الأمير غير العدل ؟
- ٥٢ رأى مالك : لا تقبل
- ٥٢ - ٢٧- رأى ابن عرفة : يجوز
- ٥٢ - ٢٨- المقيم بأرض النصارى مرتكب لمصيبة كبيرة، وهو معاقب بالعذاب الشديد إلا أنه غير مخذل فى النار
- ٥٢ - ٢٩- حكم المسلم الذى يزدرى دار الإسلام ويفضل عليها بلاد النصرانية : التخزى فى العاجلة والآجلة،
- ٥٣ إلا أن ذنبه أقل من ذنب تارك الهجرة
- ٥٤ - ٣٠- هل يؤاخذ على العزم على المصيبة دون إتيانها؟
- ٥٤ رأى المازرى : لا يؤاخذ. رأى الباقلانى : يؤاخذ
- ٥٤ - ٣١- رأى عياض : يؤاخذ بعمل القلب. آراء أخرى
- ٥٦ - ٣٢- خاتمة
- ٥٧ **ضميمة:**
- ٥٧ - ٣٣- سؤال : هل يجوز لرجل مسلم أن يتخلف عن الهجرة من بلد النصارى للقيام بشئون إخوانه من أهل الدجن
- ٥٨ - ٣٤- رأى الونشريشى : لا يجوز، لأن ذلك يتنافى مع عزة الإسلام. أهل الدجن عصاة
- ٥٩ - ٣٥- الإقامة فى حكم النصارى تحول دون كمال الصلاة
- ٦٠ - ٣٦- وتعطل الزكاة
- ٦٠ - ٣٧- وتعطل الصيام
- ٦٠ - ٣٨- وتحول دون الحج
- ٦١ - ٣٩- وتمنع من الجهاد
- ٦١ - ٤٠- هذه الإقامة تضع من أمر الإسلام وتعرض للاستغراق فى مشاهدة المنكرات

- ٦٢ -٤١- الخوف من نقض النصارى لمهودهم
- ٦٣ -٤٢- الخوف على النفس والأهل والولد والمال من شرارهم
- ٦٣ -٤٣- الخوف من الفتنة فى الدين
- ٦٣ -٤٤- الخوف على الأبخاع والفروج.
- ٦٣ إشارة إلى حادث كنة المعتمد ابن عباد
- ٤٥- الخوف من غلبة عاداتهم ولغتهم ولباسهم
- ٦٤ على المقيمين بينهم. حالة أهل أبله
- ٤٦- الخوف من التسلط على المال بإحداث
- ٦٤ الوظائف الثقيلة والمغارم المحففة
- ٦٥ -٤٧- الخلاصة : تحريم هذه الإقامة
- الفهارس العامة :
- ٦٧ - فهرس الأعلام
- ٦٩ - فهرس الأماكن الجغرافية
- ٧٣ - فهرس الطوائف والأجناس
- ٧٧ - فهرس الكتب الواردة فى النص
- ٧٩ - فهرس الآيات القرآنية
- ٨١ - فهرس الأحاديث النبوية
- ٨٣ فهرس الموضوعات
- ٨٥

٩٦/٤٠٧٧	رقم الإيداع
977- 5250 -11-0	التقييم الدولى I. S. B. N